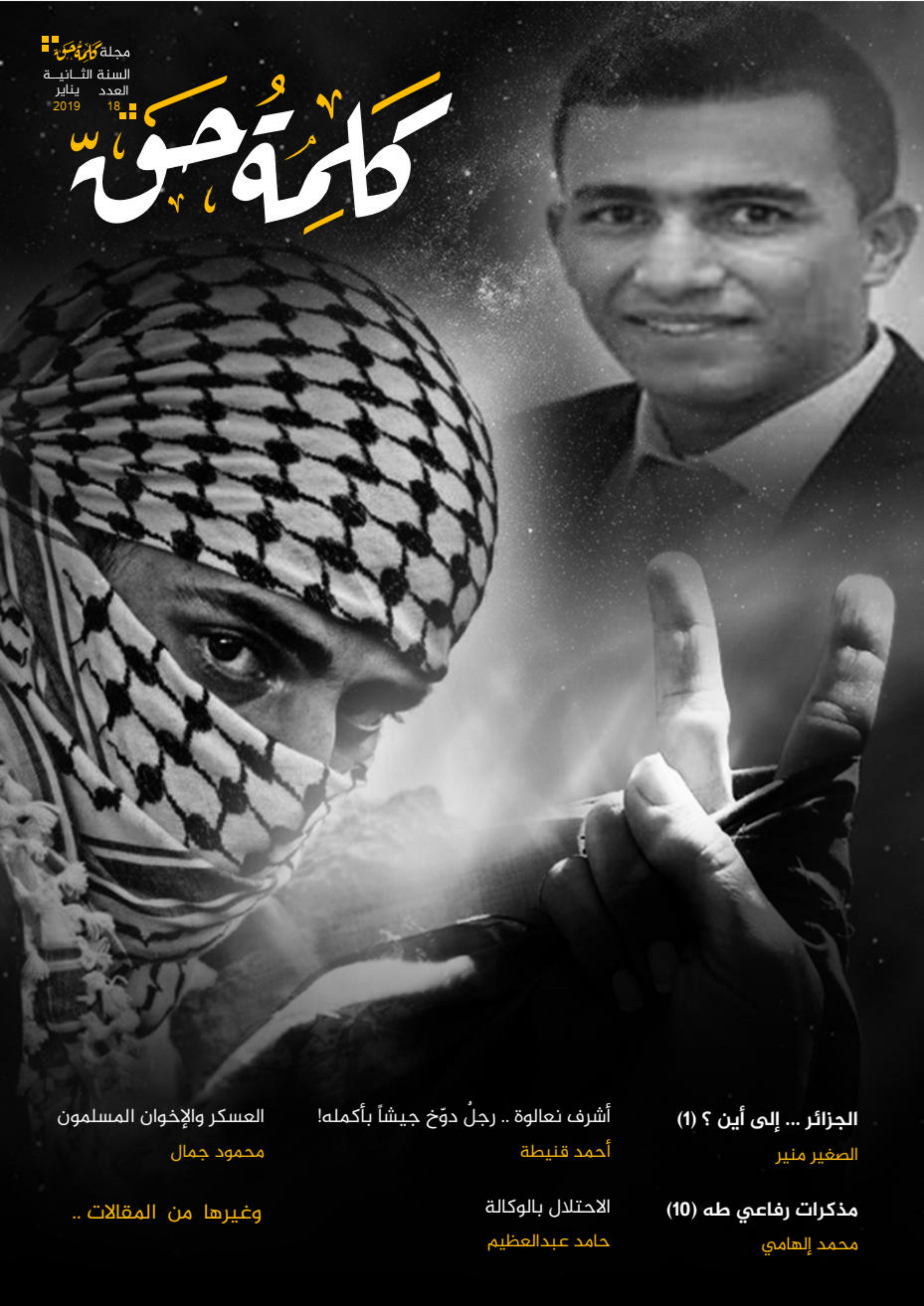


مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 18
يناير 2019
كلمة حق
الجزائر ... إلى أين ؟ (1)
الصغير منير
أشرف نعالوة .. رجلُ دوّخ جيشاً بأكمله!
أحمد قنيطة
العسكر والإخوان المسلمون
محمود جمال
مذكرات رفاعي طه (10)
محمد إلهامي
الاحتلال بالوكالة
حامد عبدالعظيم
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

الثامن عشر ، يناير 2019

كلمة حق
klmtuhaq
www.klmtuhaq.blog
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية..

لن ينفعكم الفرار

— محمد إلهامي —



"لا أستطيع أن أحصي الحوارات التي دارت منذ انطلاق ثورات الربيع العربي، بل من قبلها، حول الثورة والإصلاح والتغيير والحل المتاح والقوى الدولية ومخاوف النجاح والفشل... إلخ ! لكن الخيط الذي أستطيع تَبَيُّنَه بوضوح هو وجود جمهرة من النخبة الإسلامية التي تمارس دائما نوعا من الفرار من الأسئلة الخطيرة المطروحة بقوة ."

(١)

قبل الثورة في مصر كانت فكرة حصول ثورة أو تغيير أشبه بالمستحيل لدى جموع النخبة الإسلامية من المشايخ والعلماء والمنتسبين إلى الحركة الإسلامية، ومع هذه الاستحالة عندهم فإن مجالسهم تفر دائما من **سؤال**: ما الحل؟ ما الحل بعد الانغلاق التام للمسار السياسي الإصلاحي، وقدرة السلطة على عرقلة وتشويه وتوظيف واختراق المسار الدعوي؟

عند هذا السؤال تسمع مصمصة الشفاه، التأسف، الحوقلة، الرجاء في الله (بمعنى أن ينزل نصر من السماء، لا بمعنى أن نعمل ونحن نرجو الله).

(٢)

فيما بعد الثورة كانت نفس هذه المجالس تناقش كل الأمور تقريبا، إلا أن يُطْرَح فيها الأسئلة المهمة الجادة التي يترتب عليها العمل، فلم يحدث على حد ما أعلم أن انعقد مجلس طُرِح فيه الحديث عن الخطر القادم الذي هو خطر انقلاب عسكري على الرئيس مرسي -فك الله أسره- وإذا حاول أحدُ من الشباب وضع هذا الموضوع للنقاش، تبدأ المراوغات وحديث التفاؤل والتشاؤم، والحيود عن الموضوع، مع ميل شديد نحو حديث الطمأنينة ورصد مؤشرات الاستقرار.

أتذكر أنني بعد عدد من النقاشات، كتبتُ هذا **المقال** (بتاريخ ١٣ مارس ٢٠١٣م. أي: قبل الانقلاب بنحو أربعة أشهر)، وفيه:

"خلاصة هذا المقال طلب الفتوى في هذه النازلة:

(١) **ما** حكم الانقلاب العسكري على الرئيس المنتخب شعبيا؟

(٢) **وما** طرق مواجهته شرعا إذا كان متترسا بالجنود البسطاء وبالسلاح؟

(٣) **وماذا** إذا غلب على الظن أن هذا الانقلاب بدعم من طوائف علمانية (تعادي الشريعة وترفض الحكم الإسلامي عن عقيدة) وبإذن من أعداء الأمة: اليهود والنصارى؟

(٤) **وماذا** لو أضفنا إلى هذا خبرتنا الحديثة مع الأنظمة العسكرية عبر ستين سنة والتي رأينا آثارها في طول وعرض بلاد العرب والمسلمين؟

الإجابة على هذه الأسئلة فقهيا ستمثل:

١ الحـــد الأدنـــى والإطار العام والخطوط الحمر التي يضعها المسلمون لأنفسهم في بناء النظام السياسي، وهل يقبلون مرة أخرى بإمارات التغلب في زمن تيسر فيه اختيار الحاكم ولم تعد ثنائية (التغلب أو الفتنة) قائمة.

٢ والأهم من ذلك أنه سيمثل لحظة اليقظة الأخيرة بدل أن تُعاد طرح هذه الأسئلة وقت وقوع الكارثة حيث سيختلفون ويتنازعون وتعميهم حسابات اللحظة القريبة ورسائل الغرف المغلقة العاجلة عن المصلحة الكبرى. أي أن الإجابة على هذه الأسئلة ستوضح الموقف العملي قبل أن يأتي تخبط آخر كتخبطهم في لحظة الثورة.. وهو التخبط الذي أنتج تلك الفوضى المريعة في المشهد السياسي الإسلامي.

وأما تجنب هذه الأسئلة وعدم مناقشتها قبل وقوعها يعني:

١ غفلة كارثية

٢ هدر فقهي ونسيان الأولويات

٣ أو خوف من مجرد التفكير.. وهو ما إن تحقق فلا يليق بمن هذا حاله أن يوضع في جملة قادة الأمة ونخبتها.

فإذا وقعت الواقعة، فاعلموا أن "المؤمن" هو من "لا يلدغ من جحر واحد مرتين"! (انتهى)

وها قد وقعت الواقعة، وعلى حد ما أعلم فإنه لم يُثمر شيئًا، وفوجئت الـحـالــة الإسـلامـيــة بالانقلاب بعد حصوله، واضطربوا في تكييفه والتعامل معه أيضا.



(٣)

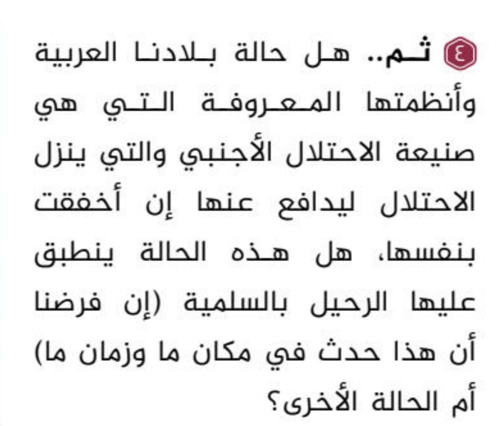
يحدث هذه الأيام حوار شبيه بذات هذه الحوارات، وقد بدأت مع انتفاضة المدن السودانية، وقد شهدتُ حوارا في مجموعة بين عدد من المشايخ وطلبة العلم ونحوهم في هذه المسألة، وقد جرى الاختلاف المعهود بين من لا يجيز مثل هذه الانتفاضة لأنه يترتب عليها من المفاسد أضعاف ما يترتب عليها من المصالح، وبعضهم لا يجيزها لخصوصية حال السودان وحال عمر البشير ويرى أنه ليس كغيره من الطغاة وأن له من الدين حظا وأنه لا بديل له إلا من هو أسوأ منه، وبعضهم، وبعضهم لا يحري رأيا.

وفي محاولة من أحدهم لدفع الحديث نحو المستقبل وتكوين رؤية عامة بدلا من أن تتكرر نفس المفاجأة والأسئلة عند كل نازلة، طُرِحَت هذه الأسئلة، لكن حصل عندها نفس السلوك من المراوغة والتهرب والسكوت، **قال السائل:**

١ **هل** رحل حاكم مستبد دموي بالسلمية؟ أم أن دمار الأوطان أهون عليه من ترك عرشه؟

٢ **هل** رحل محتل مهيمن على بلد صنع نظامها واحتجن ثرواتها بأي وسيلة غير المقاومة المسلحة العنيفة والمريرة والطويلة؟

٣ لئن فرضنا (جدلا) أن ثمة حاكم مستبد رحل بمجرد السلمية، أو أن ثمة محتلا رحل بمجرد السلمية.. فكم نسبة هذه الحالات من التاريخ؟ هل هي الشذوذ النادر الذي لا حكم له أم هو الأصل المضطرد الذي ينبغي أن نعتمد عليه؟



٤ **ثـم..** هـل حالة بـلادنـا العربية وأنظمتها المـعـروفـة الـتـي هي صنيعة الاحتلال الأجنبي والتي ينزل الاحتلال ليدافع عنها إن أخفقت بنفسها، هل هـذه الحالة ينطبق عليها الرحيل بالسلمية (إن فرضنا أن هذا حدث في مكان ما وزمان ما) أم الحالة الأخرى؟



٥ **ما هو** السبيل الذي ينبغي أن نفكر له ونخطط له كي نتأهل له، ونؤهل له الناس ونقودهم إليه.

٦ ثم **ما هو** السبيل إن لم يسمحوا لنا بالوصول السلمي؟! هل نجلس بانتظار سماحهم لنا أم أن هناك طريقا أخرى؟

٧ إذا قيل نجحت تركيا وماليزيا بالتغيير السلمي من داخل النظام.. أليس في هذا بنفسه دليل الندرة على من استطاعوا تحقيق تغيير سلمي؟.. ثم **هل** نستطيع بعدما حدث في الانقلاب التركي أن نجعل نموذج تركيا مندرجا ضمن التغيير السلمي أم أن محاولة الانقلاب والتصدي لها (بالعنف المسلح) دليل على أن السلمية لم تكف وحدها حتى في النموذج التركي؟

٨ **أليس** العدو يقرأ التجارب كما نقرؤها نحن، هل العدو الذي انخدع بطريقة أردوغان فسمح له بالوصول مستعد لينخدع مرة أخرى إذا قلنا له: سنفعل مثلما فعل أردوغان؟! أليس قد حاول مثل هذا الغنوشي ومرسي ثم لم يُسمح لهما بالاستمرار؟



٩ **هل** الحساب الصحيح للمصالح والمفاسد هو ما يقتصر على هذه اللحظة وهذا المكان؟ أم الأصل أنه يمتد للنظر في العواقب المتعلقة باستمرار وبقاء هذه النظم التابعة للغرب وتحكمها في بلادنا والذي يعود على الأمة بحرب الدين ونكبة الدنيا؟ ماذا لو فضَّل أردوغان حقن دماء شعبه ليلة الانقلاب.. ماذا كان سيحدث في العالم الإسلامي كله؟.. الرجل ضحى ببضعة مئات وبقي الملايين محفوظين من ضياع الدين والدنيا. ثم ماذا لو فضَّل الإخوان حسم المواجهة مع عبد الناصر وهو ضعيف.. ما الثمن الذي كان سيُدفع وقتها؟ وهل يقارب الثمن المدفوع عبر ستين سنة من استمرار حكم العسكر في مصر وفي العالم الإسلامي كله؟

١٠ **هل** تحررت أمة في الدنيا وامتلكت قرارها بغير ثمن فادح رهيب خسرت فيه ملايين الضحايا قبل أن تصل إلى ما هي فيه من التمكين؟

١١ حيث لن يكون ممكنا توقع حركة الشعوب ومتى تنتفض (لحظة اندلاع الثورة ما زالت حتى الآن تحير علماء الاجتماع) ولن يكون ممكنا السيطرة عليهم إذا انتفضوا وإرجاعهم بمجرد النداءات إلى البيوت (فهذه حالة فوق التحكم بطبيعتها) فلا مناص من امتطاء صهوة الثورة وإعادة توجيهها في المسار الصحيح.. وهنا يتصارع الفاعلون الأقوياء على امتطاء هذه الصهوة وتوجيهها، وأذكاهم وأقواهم هو من يغلب.. **فماذا** ينبغي أن تكون سياسة الإسلاميين في الإعداد للحظة الثورة؟

١٢ **هل** الحسبة التي نقيسها بالمصالح والمفاسد هي حسبة سفك الدماء مقابل حقنها؟ أم هي على الحقيقة بين سفك الدماء على طريقة الأندلس وبورما وإفريقيا الوسطى والبلقان وبين سفكها في جهاد موصل إلى التحرر؟

مثل هذه الأسئلة لا تجد حتى الآن حوارا حقيقا ونقاشا جادا ومعمقا من أهل الحل والعقد في هذه الأمة، ولو أنهم اتفقوا على نقاشها لأثمروا ثمارا عظيمة، حتى لو وقع بينهم خلاف في فروع وجزئيات، لكن اتفاقهم في الأصــول والكليات سيعصم كثيرا من الناس وسيعدل كثيرا من المسارات. وإن تَخَلِّي العلماء عن هذه الأمور سيتركها لا محالة للجُهَّال والمتحمسين وهؤلاء هم من ينشأ عنهم الغلو، ولا يُلام الذي نزع إلى الغلو ما دامت الساحة فارغة من علماء يؤصلون القضايا التي تحتاجها الأمة ويتحمس إليها المخلصون من أبنائها.



(٤)

قبل كتابة هذه الأسطر بساعات شهدت مجلسا فيه بعض من هذه النخبة الإسلامية، وكان صاحب المحاضرة رجل خبير بالوضع الأوروبي لطول مقامه هناك، وأحسبه رجلا فاضلا. وجرى حديث طويل ومفصل عن التغيرات التي تحدث في أوروبا، والمشكلات التي تظهر وارتفاع شأن التيارات اليمينية واليسارية المتطرفة، وانهيار التماسك المجتمعي الأوروبي وتوتر العلاقات مع الأمريكان ونمو الشبح الروسي وأمور أخرى.. وأمور أخرى!

وعلى كثرة وأهمية ما طُرِح من قضايا، إلا أن السؤال الخفي في حديث المتكلم كان كيف ننقذ أوروبا من هذا الخطر، وهو سؤال نطق عنه لسان الحال لا المقال. وقد أحببت أن نزداد في المصارحة **فسألته:** أرى أنك تتحدث كمواطن أوروبي، ويمكنني أن أفهم هذا، لكن إذا وسَّعنا الصورة: **أليس** كل ضعف ينزل بأوروبا سيكون في صالحنا كأمة؟ على الأقل من جهة تخفيف الضغط عنا.

أجابني بما يخالفني، وكانت مختصر إجابته كالآتي: من قال بأن أي ضعف ينزل بأوروبا سيكون في صالحنا بالضرورة؟ قد يكون العكس.. حتى إني أسأل أحيانا: هل سقوط نظام السيسي في مصر في مصلحة مصر؟ لقد دعا بعض إخواننا بسقوطه فترددت في أن أقول: آمين. إن أوروبا فيها ما يتغير نحو الإسلام، وهناك بعض من المسلمين يصلون تدريجيا إلى مفاصل صناعة القرار.

كانت خلاصة إجابته، التي فهمتها من مجمل كلامه: لا تتمنوا شرا لأوروبا فإنها قد تحمل المشروع الإسلامي يوما ما.



ومع أني تعودت على كثير من الصدمات، إلا أني صدمت أيضا، كنتُ أحسب النموذج الأوروبي آخذ في الذبول من بعد ما حدث في موجة الثورات العربية، وأن الدعاة الذين حلموا يوما بأن يكون فتح روما بالبيان واللسان قد عادوا أدراجهم مع ضربات الواقع، ولعلي أتفهمه أكثر مما ألومه، ذلك أن الرجل الذي كان مشروعه نشر الإسلام في أوروبا لعقود والدفاع عن حقوق المسلمين فيها ليتعذر عليه أن يرى خلاف ما قضى فيه عمره. وإني أكرر في هذا أني لا أتهم الرجل بشيء وأحسبه فاضلا عاملا للدين..

لكن الخيط الناظم في سائر هذه الحوارات والنقاشات، أن الفرار من الأسئلة الجوهرية في أي نقاش يُفضي إلى الفوضى والتخبط حين تقع الواقعة، ثم تقع الواقعة فيُفضي الفرار من نقاش أسئلتها إلى واقعة أخرى.. وهكذا نظل نتدرج في الحال، حتى نفقد قدرتنا على الأسئلة والإجابة لنبقى مجرد رد فعل، ثم ننتقل من رد الفعل إلى تبرير الواقع، ثم من تبريره إلى تحسينه وترويجه باعتباره أحسن المتاح إن لم يكن باعتباره الغاية المنشودة!



الخيط الناظم هو الرغبة في تغيير ينقل الأمة من الاستضعاف إلى التمكين بغير تكاليف، بالدعوة، بالسلمية، بالدبلوماسية، بالإقناع، بإسلام صناع القرار.. مهما كانت سنة التغيير تخالف وتناقض هذه الأماني! لذلك يحدث الفرار من هذه الأسئلة لأنها أسئلة ينبني عليها تكاليف!

وصدق الله تعالى إذ يقول: (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تُمَتَّعون إلا قليلا).

الجزائر ... إلى أين ؟ (١)

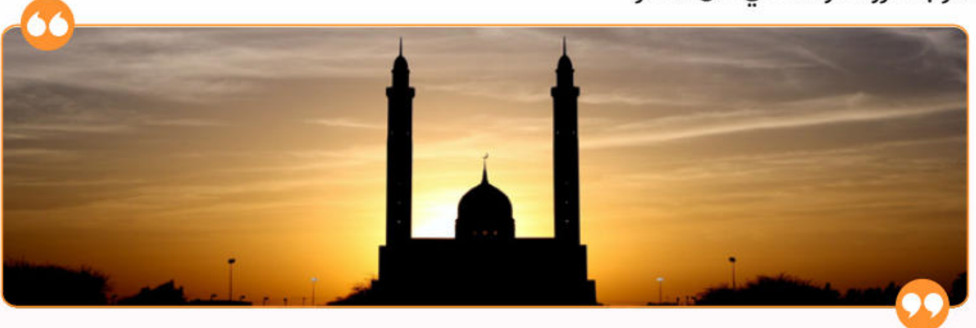
الصغير منير

الجزائر في أزمـة، بل هي في طريق مسدود؛ فلا أحد يمتلك حلًّا أو تصوّراً أو رؤية لما يمكن أن يحدث في أيّ لحظة. وكلّ ما تقدّمه الأحزاب السياسيّة إنّما هو وصفات مهدّئة أو أحلام يقظة أو مبادرات يعلم من يطرحها قبل غيره أنّها مجرّد عبث وتلبيس وتدليس على الشعب الجزائري، أو أنّها في أحسن أحوالها تبرئة للذمّة وموقف يُسجّل للتاريخ، أما النظام الجزائريّ فهو كعادته يتعامل مع هذه المبادرات باستهتار ولا مبالاة تامّة، ويكرّر أسلوبه الذي يتقنه جيّداً، ألا وهو الاحتواء والاستيعاب، أو الاختراق والتوظيف، أو الإقصاء والتهميش.

أمّا على المستوى الشعبيّ فهناك عـزوف شبه كامل عن المشاركة في الشأن العام، وسلبيّة كبرى تجاه كل ما يطرحه السياسيّون بحيث لا تكاد تجد لما يطرحونه أيّ صدى في الشارع، وهناك حالة من اليأس والإحباط وانعدام الثقة في أيّ مبادرة سياسيّة. وأصبحتَ لا تجد شخصيّة سياسيّة تستطيع التأثير في الكتلة الحرجة للرأي العام وحشدَه وإلهامه بحُلم جديد كبير يؤمن به الشعب ويلتفّ حوله ويضحّي في سبيله.

لقد كانت أحداث التسعينيات ذات أثـر نفسي واجتماعي وسياسيّ خطير، وأحدثت خـلـلاً كـبـيـراً في تماسك المجتمع الجزائري وأخلاقه وتصوراته وبنيته النفسية والفكرية والمفاهيميّة. وكان ذلك أمراً مقصوداً جسّده العنف المادّي والمعنوي الذي عرفه الجزائريون إبّان العشرية كصدمة مروّعة، عقاباً لهم على الاصطفاف مع مشروع سياسيّ مثّلته الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ، والذين كان في حقيقته تعبيراً صارخاً قويّاً عن رغبة الجزائريين في استكمال عملية التحرير وتحقيق الدولة المستقلّة ذات السيادة في إطار مبادئ الإسلام، بصرف عن النّظر عن أخطاء الجبهة الإسلامية وطريقتها في إدارة الصراع وقد كتبتُ فيه بشكل مختصر خمس مقالات في مجلّة (كلمة حقّ) يمكن الرجوع إليها لمزيد من الفهم.

لقد رافق البطشَ والقهرَ والتنكيلَ والتهجير القسري لمئات الآلاف من قراهم ومزارعهم وأريافهم، بطشُ إعلاميّ تمثّل في الجرأة على المقدّسات وتكسير الطابوهات وتشويه وإسقاط الرموز والمرجعيات، وإثارة وإحياء نزعات القبيلة والعِرق والجهة واللهجات والانتماءات الجاهليّة التي سبقت الإسلام، وإشاعة الفحشاء والمنكر والخنا، وامتلأت الصحف والجرائد بأخبار القتل والجرائم والانتحار والاختلاسات والفساد والفضائح، وصاحب ذلك هجوم عنيف على المسجد وإفراغه من أي معنى وتحييده ليصبح أشبه بالكنيسة، لا يربّي ولا يغرس قيماً ولا يسمو بروح، ولا يُصدع فوق منابره بكلمة حق ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر.



ومع المسجد كانت المدرسة تعاني من حرب ضروس بين تيّار محافظ إصلاحي، وتيّار تغريبي عَلماني يستقوي بأدوات الدولة ومواردها، ويستخدم القانون ومؤسسات الدولة لتكون كلمته هي العليا.

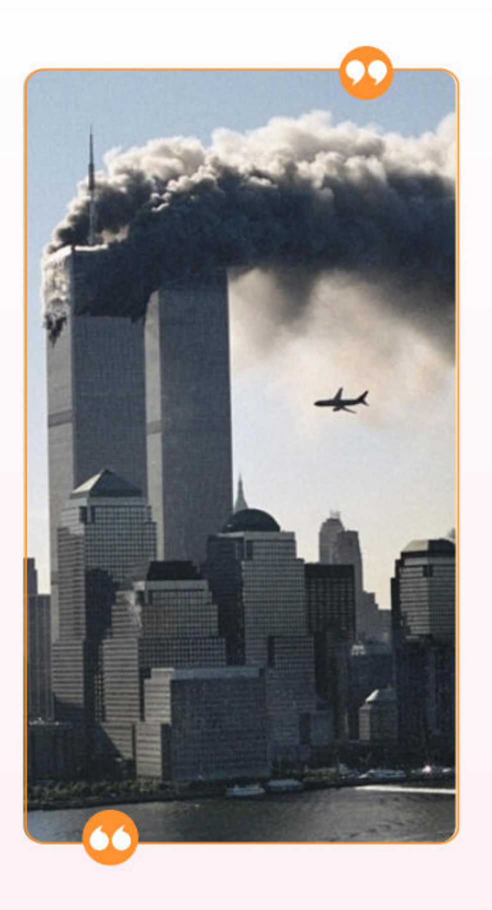
» وركّز بشدّة على صياغة منظومة قانونيّة تخدم الطرف الأقوى المتنفّذ والمرتبط بأجندات هيمنة عالمية وشبكات فساد ودول أجنبيّة، على رأسها فرنسا، ومصالح ومكاسب حقّقها التيّار الاستئصالي بعد إعلان حربه على الشعب الجزائري في انقلاب عام ١٩٩٢ ، والذي كان في حقيقته - حين نراجع أسماء المدبّرين له واستراتيجياتهم في إدارة الصراع وعلاقاتهم وارتباطاتهم وشبكة ولاءاتهم - حرباً فرنسيّة استعماريّة جديدة على الشعب الجزائريّ، بأيدٍ جزائرية وأدوات جديدة وخطط أشدّ مكراً ودهاء، وقد خرج للعلن من الكتابات والشهادات والمقالات والوثائق ما يؤكّد ذلك، ولكنّ الباحثين والإعلاميين الجادّين على قلّتهم يتجنّبون الخوض في ذلك والكتابة فيه خشية الانتقام، أو تفعيل بعض موادّ (قانون المصالحة) التي تجرّم كلّ من ينبش في جرائم التسعينيات. «

هذا التحطيم الممنهج للمجتمع بدأ في أواسط التسعينيات، ولكنّه اشتدّ ضراوة وقسوة وتغوُّلا بعد تعيين بوتفليقة رئيساً عام ١٩٩٩ ، إذ بلغ الفساد السياسي والاقتصادي والأخلاقي والمجتمعي ذروته في العقديْن الأخيريْن، وأصبحت خططه أكثر اتّساقاً وفعالية من ذي قبل، وأصبحت الحجة الجاهزة أن الرئيس جلب معه الأمن والسلام والمصالحة، وأنهى عقداً من الاحتراب الداخلي والفتنة؛ فوجب على الشعب الجزائريّ أن يقبل بكلّ شيء اعترافاً منه بنعمة الأمن والسلام، وحرصاً على عدم تكرارها مجدداً. نعم.. هناك ابتزاز نفسي واجتماعي وسياسي رهيب للجزائريين بما حدث لهم في التسعينيات، وتخويف لهم وتذكير به في كلّ مناسبة، وانتقل النظام كلّه من (الشرعية الثوريّة) التي أفرزتها ثورة التحرير، إلى شرعية جديدة هي (شرعية الحرب على الإرهاب)، التي انتصر فيها بزعمه على الإرهابيين، وأصبح يقدّم نفسه على المستوى الدولي خبيراً ومستشاراً فيها. ثمّ جاءت أحداث الربيع العربيّ لترسّخ هذا المعنى وتضاعف من حجم الابتزاز الإعلامي للشعب الجزائري بما حدث ويحدث في سوريا والعراق واليمن وليبيا.



كلّ الأرقام والمختصّين والخبراء في الجزائر اليوم مجمعون على الفشل الذريع والانسداد الكامل والانهيار المريع على جميع المستويات. ولا تكاد تجد متحدثاً عاقلاً ذا قيمة علمية ووجاهة في تخصصه بعيداً عن التزلّف والتملّق يقول غير ذلك. ومع ذلك فإنّ كلّ الحلول التي تُطرح تُقدّم كالتماس لهذا النظام نفسه وتجعله طرفاً أو شريكاً في الحلّ، وتُرفع العرائض والاقتراحات والمبادرات إلى الرئيس وحاشية الرئيس وإلى العسكر وإلى المخابرات وإلى البرلمان بغرفتيه، بينما يعرف الجميع يقيناً ألا أحد من عُصب النظام وأجنحته يلقي بالاً لما يطرحون ويقترحون.

لقد كـانت واحدة من المعضـلات السياسـيّة الـتي كان النـظام السـياسيّ الجزائـريّ يعاني منها ويحاول تجاوزها هي: الشرعيّة.. وكان النظام قائماً على دعوى الشرعيّة الثوريّة، وكانت الانقلابات هي الأساس الذي قام عليه النظام في مختلف تشكّلاته، بداية من انقلاب مؤتمر الصومام في ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ على مضمون بيان أوّل نوفمبر، وقد كان انقلاباً ناعماً قاده عبّان رمضان وعمّار أوزغان أمين عام الحزب الشيوعيّ، واستدرج إليه عدد من قادة الثورة الكبار الذين فجّروها، ثم جاء الانقلاب على الحكومة المؤقّتة من طرف جيش الحدود بعد الاستقلال مباشرة، ثم انقلاب العقيد هواري بومدين على صديقه أحمد بن بلّة في ١٩ يونيو ١٩٥٦ ، ثم محاولات انقلاب أخرى فاشلة، ثم جاء الانقلاب الأكثر دمويّة وعنفاً بعد فوز الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ في يناير من عام ١٩٩٢ والذي قاده وخطّط له من يسمّيهم الجزائريّون: ضبّاط فرنسا..



وبعد انتهاء العشريّة الدمويّة على مشـارف الألفـية الثالـثة وخروج النـظام منها منتصراً بعد طوفان من الدماء والدموع والمآسي، ومئات الآلاف من المساجين والمفقودين والمعطوبين جسدياً ونفسياً والمهجّرين قسراً، اهتدى النّظام السياسيّ في الجزائر إلى التأسيس لشرعيّة جديدة يُنسي فيها الجزائريّين قصّة الشرعيّة الثوريّة ليبني شرعيّة جديدة هي شرعية: الحرب والانتصار على الإرهاب. وأصبح يقدّم نفسه أمام الشعب في الإعلام والتعليم والخطاب السياسيّ الرسميّ وأمام مؤسسات النظام الدوليّ وحكوماته بهذا التعريف، خاصّة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وتبنّي القوى الكبرى ومؤسسات النظام الدولي للحرب على الإرهاب، الذي لم تكن حقيقته وجوهره سوى الحرب على الإسلام والمسلمين.

كانت القوى السياسيّة كلها منهكة مستنزفة فاقدة لأي قدرة على التأثير في الرأي العام وتوجيهه. وكان أكبر همّها أن تكون مشاركة في السلطة ككتل نيابيّة في البرلمان ومجلس الأمة، أو من خلال حصولها على حقائب وزاريّة في الحكومات المتتالية الكثيرة في عهد بوتفليقة منذ أفريل ١٩٩٩ ، أو من خلال مناصب تنفيذية في الوزارات والمؤسسات الرسميّة للدولة، أو الفوز المخطط له من طرف أجهزة الاستخبارات في المجالس البلدية والولائيّة.



وكان الحزبان الإسلاميّان - قبل الانشقاقات والانشطارات اللاحقة - يتنافسان في ذلك مع أحزاب السلطة، مثل جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطنيّ الديموقراطيّ، وأصبح من العسير جدّ التفريق بين موالاة ومعارضة إذ ارتمى الجميع في أحضان ما كان يُسمّى (برنامج فخامة الرئيس)، وذابت وتلاشت كلّ المصطلحات التي كانت تميّز الإسلاميّ عن الوطنيّ أو الليبراليّ، وفقد الجميع شرعيتهم السياسيّة وتلطخوا بما أغدق عليهم النظام من امتيازات ومكاسب ومناصب، لم يكن من السهل أبداً التفريط فيها والتنازل عنها ولكلّ حجته وتأصيله وتبريره، بل إنّ بعضهم تصرّف معها ببراغماتيّة معلنة بحجّة أن الجميع ينهب ويكسب ويستفيد فلماذا أكون أنا استثناء من القاعدة؟

كانت الأحزاب الإسلامية الخاسرَ الأكبر؛ ففقدت مصداقيتها وحاضنتها الشعبيّة وأصبحت تتدحرج في كلّ مناسبة ومحطّة انتخابيّة نحو المزيد من التفكّك والانشقاق، حتى انقسمت حركة حمس إلى أربعة أحزاب هي: حمس، حركة التغيير، وتجمّع أمل الجزائر، وحركة البناء، وانشطرت حركة النهضة إلى الإصلاح والنهضة والعدالة والتنميّة.

ولم تكن هذه الانشقاقات لأسباب فكرية منهجيّة وإنما بسبب خلافات بشأن التموقع السياسيّ من المشاركة في السلطة ودعم الرئيس بوتفليقة ومشروعه من عدمه، وأكثرها كان بإيعاز من استخبارات النظام وتدبيره؛ فقد كانت تعلم حجم الضعف والتفكّك الذي بلغته هذه الأحزاب.

" وبعد إضعاف الأحزاب وتلويث سمعتها وتوريطها في مواقف وعلاقات وامتيازات وملفّات مشبوهة، تفرّغ النظام ممثلاً في الرئيس بوتفليقة لترتيب بيته الداخليّ وتسوية العلاقة والتوازنات بين أجنحته الثلاثة الأكثر تأثيرا وقوّة: العسكر والمخابرات والرئاسة، واستغرق ذلك وقتاً طويلاً وتضحيات وصبراً من الرئيس بوتفليقة وإرضاء وتسويات مع جهات داخلية وخارجيّة، ومغامرات لم تكن عواقبها مضمونة دائماً ولكنّها كانت تصبّ دائماً في وعاء ومصلحة جناح الرئاسة لأنها كانت الطرف الأكثر ظهوراً واحتكاكاً مباشراً بالشعب وقدرة على مخاطبته مباشرة والتأثير في عواطفه وتوجّهاته، بينما كانت المخابرات والعسكر منهكتيْن بعد صراع التسعينيات، وكانت صورتهما ملطّخة مشوّهة، والتهم بالمجازر والانقلاب والتنكيل بالجزائريّين حاضرة بقوّة في المخيال الشعبيّ، ولم يكن سهلاً عليهما نفي ذلك وتكذيبه وتبرئة نفسيهما منه. "



وقد واتت الأقدار جناح الرئيس بطفرة أسعار النفط؛ فاستثمر فيها بطريقة لا تمتّ بأيّ صلة لقواعد الاقتصاد وأسس التنمية وتوزيع الثروة، بل كان يتصرّف فيها بطريقة ملوك وأمراء ألف ليلة وليلة؛ إذ فُتحت البنوك على مصراعيها ليغرف منها أثرياء الحرب الجدد والموالون للرئيس، ولتُشترى ذمم الإعلاميّين والكتاب والفنّانين والسياسيّين والأعيان و شيوخ الطرق الصوفيّة ودعاة السلفيّة، ورشوة كلّ من يُخشى منه الوقوف حجر عثرة أمام مشروع الرئيس، وشراء السّلم الاجتماعي بقروض الدعم الفلاحي وتشغيل الشباب ودعم المؤسسات الصغيرة والبناء الريفي ومشاريع الإسكان.

لم يكن أحد في الحقيقة يعلم ما هو مشروع فخامة رئيس الجمهورية، الذي صار لافتة يرفعها الوزراء والولاة ومديرو الشركات الوطنية الكبرى ورؤساء البلديات بل حتى مديرو المدارس في المناطق النائيّة. ولو أردنا أن نلخّص هذا المشروع كما جُسد في الواقع طيلة عقدين من الزمن لكان ذلك في نقطتين رئيسيتين:

- المصالحة الوطنية.
- تبديد المال العامّ بمئات ملايير الدولارات بلا رؤية ولا خطة ولا رقابة ولا مساءلة.



أمّا المصالحة الوطنـية فقد كانت مشروعـاً طبخـته المخابـرات، ثم وضعـته بين يدي الرئيس لتسدي إليه بذلك خدمة تاريخيّة، وتجعله منقذ الجزائر من الفتنة والحرب الأهلية ومستعيد السلم والوئام الوطني، واستثمرت فيه:

- هزيمة الجماعات المسلّحة.
- وتفكّك الحاضنة الشعبيّة للجبهة الإسلامية للإنقاذ.
- وحالة اليأس والإحباط والخوف من المصير الغامض لدى الشعب الجزائريّ.
- والبحث عن السّلم والأمن بأيّ ثمن بعد عشريّة أتت على الأخضر واليابس وأهلكت الحرث والنّسل.

وقد استطاع النظام أن يمرّر ميثاق المصالحة الوطنيّة، ويحشد له الإعلاميّين وعلماء الدّين والسياسيّين وأحزاب المعارضة والموالاة، في واحدة من أكبر عمليّات التدليس والتلبيس على الشعب الجزائريّ، ونجح في أن يُعفيَ جنرالات الانقلاب من أيّ متابعة أو محاكمة، ولم يكن من بين بنودها ما يسمح بالبحث عن حقيقة ما حدث طيلة عقد كامل من الزّمن أو بمحاكمة المجرمين والقتلة، أو بمعرفة ملابسات الأحداث الجسام التي عرفتها الجزائر وبقيت غامضة إلى حين كتابة هذا المقال، بل وجرّم ميثاق المصالحة كلّ من يفعل ذلك، وسوّى بين القتيل والقاتل والضحيّة والجلّاد، وبين حزب فاز بانتخاب شعبي حرّ ونزيه وشفّاف، وعصابة من الضبّاط الانقلابيّين أدخلوا الجزائر وشعبها في نفَق مظلم ما زالت آثاره وتبعاته ظاهرة حتى اليوم.

ومع ذلك فإنّ الجماهير لم تكن مستعدّة لأن ترفض ميثاق السلم والمصالحة، ولا أن تعرف سياقاته ونتائجه قريبة ومتوسّطة وبعيدة المدى، ولا أن تقدّم مزيداً من التضحيات في وجه نظام رأت منه كلّ أشكال القهر والبطش والتنكيل، وما كان أسهل خداعها أو إغراءها بقبول الميثاق، خاصّة وقد كانت وعود التعويضات للقتلى والمفقودين والمتضرّرين مغرية حقاً، وأكثرهم فقراء بائسون يسكنون الأرياف والبوادي والقرى النائية المعزولة.



وقد كانت طفرة أسعار النّفط فرصة ساقها القدر لحكمة يعلمها اللّه تعالى، وظّفها النّظام ومؤسساته وأجهزته للإغراء والرشوة المجتمعيّة وشراء السّلم الاجتماعيّ، فتدفّقت الأموال على الصالحين والطالحين وغرف الجميع منها بلا وعي ولا خطّة ولا رؤية اقتصاديّة ولا نموذج تنمويّ يحقّق على الأقلّ قدراً من الرّفاه الاجتماعيّ، ويسهم في توزيع الثروات بشكل عادل ومنتج.

لقد كان في مقابل كلّ دولار يأخذه المواطن البسيط ليستردّ منه بعد ذلك في شكل ضرائب وغرامات وتعويضات ألفُ أو عشرة آلاف دولار، يأخذها أثرياء الحرب الجدد وطبقة الأوليغارشيا، التي شرع الرئيس وحاشيته في صناعتها ونفخها وتصديرها لإحداث قدر من التوازن المطلوب في توازنات القوى والأجنحة، فقد كان أثرياء الحرب من صناعة المخابرات وهي من دعمتهم وسهّلت لهم سبل النّهب والإثراء غير المشروع، وكان هؤلاء يدينون بالولاء لها ويحتمون بها ويلجأون إليها، بينما كان الرئيس يبحث عن طبقة من رجال المال والأعمال تدين له هو بالولاء ويصنعها على عينه ويكون (لحم كتافها من خيره) كما يقول إخواننا المصريّون، وقد نجح في ذلك واستخدمه إلى أبعد الحدود، و كانت ثمرة ذلك تأسيس منتدى رؤساء المؤسسات FCE ، برئاسة علي حدّاد والذي بلغت ثروته أزيد من ٤٠ مليار دولار عام ٢٠١٨ ، بحسب تصريح رئيسه على صفحته في الفيسبوك منذ شهر فقط.

كلّ هذا الذي حدث ما كان له أن يحدث لولا عزوف كامل من الشعب الجزائريّ عن الاهتمام بالشأن العامّ وممارسة حقه السياسيّ، كنتيجة للقهر والبطش والنكال الذي تعرّض له في عقد التسعينيات، ولولا الفشل الذريع والعجز المطلق الذي أصبحت عليه النخب والطبقة السياسيّة كلها بحيث صارت ملحقات للمخابرات أو الرئاسة وكرات يتقاذفانها بينهما، ولم تعُد هذه النخب والأحزاب قادرة على تأطير الشعب وقيادته وصناعة رأي عامّ والتأثير فيه، ولم تعد بالتالي قادرة على حشده وإخراجه للشارع للاحتجاج والرفض أو للضغط على السلطة. بل إنها جميعاً تماهت مع مواقف النظام وشاركت في دعمه وفي التلبيس على الشعب وتغييب الحقيقة عنه، تستوي في ذلك الأحزاب الإسلاميّة والوطنيّة والليبراليّة.



ما كان لرئيس مُقعد مشلول أن يحكم دولة مهمّة وثريّة وذات موقع استراتيجيّ خطير ومترامية الأطراف مثل الجزائر لو كانت هناك أحزاب ونخب وكيانات، تستطيع التأثير في الأحداث وصناعة المواقف وحشد الجماهير والضغط على صانع القرار. إن اتّهام الشعب بالضعف والتخاذل ما هو إلا شمّاعة يعلّق عليها الفاشلون من الإسلاميّين خاصّة فشلهم وعجزهم وخيباتهم، وإلّا فقد كان الشعب الجزائريّ يبذل ويضحّي ولم يبخل على الحركة الإسلاميّة في أيّ طور من أطوارها، وقد أمدّها بخيرة أبنائه في فترة العمل الدعويّ السّريّ وأمدها بملايين الشباب بين أعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٢ في فترة الانفتاح السياسيّ، وأمدّها بخيرة شبابه بعشرات الآلاف في السنوات الثلاث أو الأربع الأولى من العمل المسلّح بعد انقلاب ١٩٩٢، وكان الشعب الجزائريّ يُؤوي ويموّن ويموّل وفتح بيوته وقراه ومزارعه للشباب الثائر ضدّ الانقلاب، وما زال الشعب الجزائريّ مستعدّاً للبذل والعطاء والتضحية، وما زال رافضاً للظلم والاستبداد وما زالت جينات الثورة والتمرّد حاضرة في بنيته النفسيّة والاجتماعيّة، وما زال يعُد التخندق مع السلطة بكلّ مؤسساتها خيانة وعمالة وانحطاطاً أخلاقيّاً، وما زال قادراً أن يفاجئ الجميع بما لا يتوقّعون ولا يحتسبون.



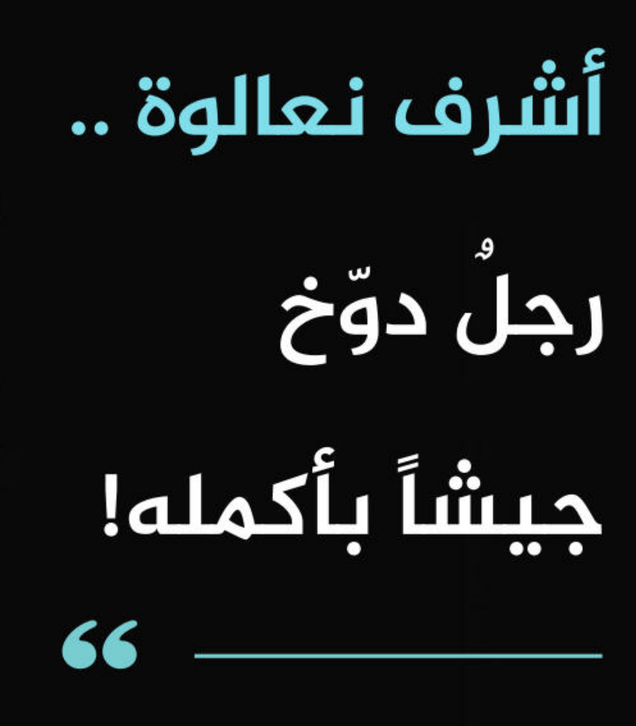
ولكنّه لن يفعل ذلك بلا قيادة ولا رؤية ولا خطّة، ولن يُستدرَج مرّة ثانية لمحرقة يقودها شباب ورجال مخلصون صادقون، ولكنّهم لا يمتلكون أدوات الصراع ولا يفهمون طبيعته ولا حقيقته.

وذلك حديث آخر..



أشرف نعالوة ..

رجلٌ دوّخ جيشاً بأكمله!

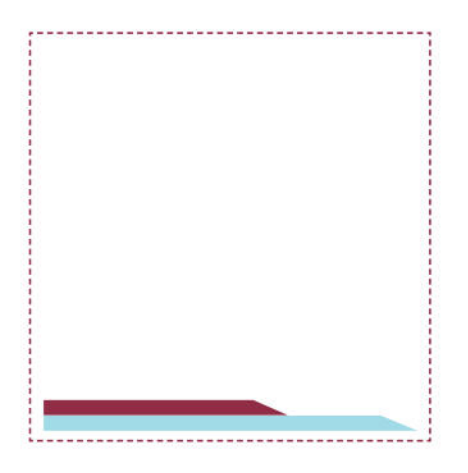


أحمد قنيطة

صباح السابع من أكتوبر **٢٠١٨ م** لم يكن يوماً عادياً عند الفلسطينيين، إذ استيقظوا على أخبار سارّة مفادها أن فدائياً فلسطينياً تمكّن من تنفيذ عملية إطلاق نار على عدد من المغتصبين الصهاينة في المنطقة الصناعية "بركان" قرب مستوطنة "أريئيل"، المُقامة على الأراضي المحتلة بمحافظة سلفيت شمال الضفة الغربية، ليُردي اثنين من المغتصبين ويصيب ثالث بجراح خطيرة، ثم ينسحب من مسرح العملية بسلام متجاوزاً كل الإجراءات الأمنية المعقدة في المناطق المحتلة، وينجح في التخفّي عن مخابرات العدو واستخباراته، التي واصلت الليل بالنهار من أجل الوصول إليه واعتقاله وفشلت في ذلك عدة مرات.

جاءت هذه العميلة النوعية في مرحلة تكاد تكون من أصعب المراحل التي تعيشها الضفة الغربية المحتلة، حيث ترزح مدنها وقراها تحت ظلم وجبروت الاحتلال الصهيوني الذي يستبيحها بشكل يومي، وينفّذ حملات الملاحقة والاعتقال بحق أي فلسطيني قد يشك أن له ميولاً نحو العمل المقاوِم، ومن جهة أخرى فإن الأيادي الآثمة للأجهزة الأمنية التابعة لسلطة "فتح" لا تدّخر جهداً في تقديم المعلومات للعدو من أجل ملاحقة واعتقال الثوّار والفدائيين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فلقد أعلن قبل أيام رئيس السلطة "عباس" متفاخراً، بأن سلطته تمكنت من مصادرة **٩٠ %** من الأموال التي تُرسلها حماس من غزة المحاصرة إلى الضفة الثائرة من أجل تشكيل خلايا للمقاومة، وأن ال**١٠ %** من الأموال التي فشلت السلطة في مصادرتها، هي التي نجحت حماس فيها بتنفيذ العمليات الأخيرة وقتل عدد من جنود الاحتلال.

عملية **"بركان"** التي نفذها البطل **"أشرف نعالوة"** جاءت في هذه الظروف القاسية التي تمر بها المقاومة في الضفة، وفي ظل حصار خانق يعانيه قطاع غزة، لتشفي صدور قومٍ مؤمنين، وتُذهب غيظ قلوب المُحاصَرين، وتستنهض همم الأبطال الغيورين، الذين كبّلتهم أغلال الملاحقة والمتابعة الأمنية، وهم يرون قدسهم تهوّد وأقصاهم يدنّس، فكانت باكورة لعدد من العمليات التي أشعلت لهيب الثأر في قلوب المقاومين وأبقت على جذوة الجهاد متوقدّة في نفوسهم، والتي أسفرت عن مقتل **٥** من جنود الاحتلال وإصابة ما يزيد عن **٢٢** آخرين خلال الشهرين الماضيين.



" أشرف نعالوة لم يكن مقاتلاً عادياً، فهذا البطل ومنذ تنفيذه لعمليته الجريئة ونجاحه في الإفلات من الإجراءات الأمنية المعقّدة، التي تتمثل بعشرات الحواجز ونقاط التفتيش ومئات كاميرات المراقبة المنتشرة في معظم شوارع الأراضي المحتلة، أصبح كابوساً مزعجاً أرّق قادة العدو وحطّم منظومتهم الأمنية المتطورة، فمن هو أشرف وليد نعالوة؟؟ **"**

هذا البطل الذي لم يتجاوز الـ **٢٣ ربيعاً** هو أحد أبناء ضاحية "شويكة" في محافظة طولكرم بالضفة الغربية المحتلة، وُلد عام **1995م** وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدارس البلدة، ثم أنهى الثانوية العامة بتفوق، تخرج بامتياز من كلية هشام حجاوي تخصص (ميكانيكا)، كان شابًا عاديًا لا ينقصه شيء؛ منزل عائلي جميل، وعمل ودخل فردي أكثر من متوسط، تقول شقيقته: "لم يظهر على أشرف أي نشاط سياسي أو حزبي منذ البداية، ولم يشعر أحد بشيء، فقد كان كتوماً وكانت العملية مفاجئة وصادمة للجميع، حتى للاحتلال الذي منحه إذناً للعمل داخل المغتصبات".

إذاً فقد نجح بطلنا في تضليل العدو وانتزاع "تصريح عمل" في الأراضي المحتلة، واستطاع أن يراقب تفاصيل المنطقة بشكل جيد، ويتعرف على مداخلها ومخارجها ونقاط الضعف فيها، فرسم لنفسه خطة مُحكمة لتنفيذ الهجوم ثم الانسحاب بسلام، فكان له ما أراد.

بسلاحه محلـي الصنع مـن نوع "كارلو" الـذي أدخله للمستوطَنة عبر حقيبة كان يحملها على ظهره، وفي دقائق معدودة حوّل أشرف المصنع إلى ساحة قتال حقيقية، فما أن بدأت الرصاصات تزغرد حتى سادت حالة من الخوف والرعب في أوساط المغتصبين الصهاينة الذين لاذوا بالفرار فور سماع طلقات الرصاص، التي عاجلت اثنين منهم فأردتهما صرعى وأصابت ثالثاً بجراح خطيرة، لتبدأ رحلة أشرف نعالوة مع المُطارَدة ويتحوّل اسمه إلى "أسطورة"، أعادت إلينا أمجاد يحيى عياش وعماد عقل ومحمود أبو الهنود.

❞ خمسُ وستــون يومــاً مــن المطاردة والملاحقة اليومية والعمليات العسكرية والمُداهمات لمدن وقرى الضفة المحتلة، مدعومة بكتائب عسكرية ووحدات خاصة ووسائل تكنولوجية متطورة وطائرات استطلاع حديثة، تخللها حملات اعتقال وتحقيق واسعة بين الأهالي سعياً للظفر بمعلومات قد تدل على مكان الأسد الرابض في عرينه دون جدوى، فقد لاحق الفشل جيش العدو في كل مرة كانوا يحاصرون فيها بيتاً من بيوت المواطنين ظناً منهم أن أشرف متواجداً فيه، ثم يعودوا أدراجهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، حتى أصبح جيش الاحتلال يتعامل معه كإبرة اختفت في كومة قش، فجميع المعلومات الاستخبارية التي جمعها العدو منذ تنفيذ العملية كانت عبارة عن سراب، ولم تحقق لقيادة العدو أي إنجاز يُذكر. ❝

الحاضنة الشعبية للمقاومة أبلت بلاءً حسناً في دعم البطل المُطارد، ونجحت إلى حد كبير في أن تكون درعاً حصيناً وسداً منيعاً لحمايته وتضليل أجهزة أمن العدو وعملائه عن الوصول إليه، من خلال خروج الشباب الثائر بشكل يومي للتصدي لآليات العدو التي تقتحم المدن والبلدات ورجمهم بالحجارة وزجاجات المولوتوف الحارقة، كذلك الدعوات التي أطلقها رواد مواقع التواصل الاجتماعي لحث أصحاب الشركات والمؤسسات والمحلات والبيوت على إتلاف أجهزة التخزين الخاصة بكاميرات المراقبة التي قد تساعد العدو في تتبع تحركات "أشرف" وتساهم في اعتقاله.

لم يكن "أشرف" المجاهد الوحيد الذي أرهق العدو وزعزع أمنه واستقراره في هذه الفترة بالتحديد، فقد جاءت عملية (عوفرا) البطولية قرب رام الله، التي نفذها البطل صالح عمر البرغوثي بتاريخ **٩ ديسمبر ٢٠١٨ م**، حيث هاجم نقطة عسكرية صهيونية على طريق عام، وخلال **٦** ثواني فقط وفق التقديرات الأمنية للاحتلال أمطر "عمر" النقطة العسكرية بوابل من الرصاص فأصاب **" ١١ جندياً "** بجراح مختلفة، ثم انسحب على الفور هو الآخر من المكان بسلام، لتقلب هذه العملية الجديدة الطاولة في وجه قادة العدو وتزيد من تعقيد المشهد الأمني والاستخباري، وتصبح الضفة بركاناً يغلي إيذاناً بانطلاق موجة جديدة من العمليات الفدائية التي من الواضح أنها ستتطور لانتفاضة عارمة.

"صالح البرغوثي" هو بطلُ سليل عائلة مباركة مشهودُ لها بالجهاد والتضحية، فوالده هو "عمر البرغوثي" الذي قضى **" 26 عاماً "** في السجون، وشقيقه عاصم قضى **" 11 عام"** وعمّه هو "نائل البرغوثي" أقدم أسير في العالم، قضى في سجون الاحتلال قرابة الـ **"73 عام"** ، وأُفرج عنه في صفقة وفاء الأحرار عام **٢٠١١ م**، ليعيد الاحتلال اعتقاله مرة أخرى عام **2014 م** ، وخاله هو الأسير المحرر المُبعد إلـى قطاع غـزة "جاسر البرغوثي" الـذي تمكّنت المقاومة من تحريره في صفقة وفاء الأحرار، وهو محكوم عليه بـ **" 8 مؤبدات"** قضى منها ٨ سنوات، ويتهمه الاحتلال بتأسيس مجموعات لكتائب القسام بمدينة رام الله ساهَمت في قتل **١٨** صهيونياً.

◄ **١٣ ديسمبر ٢٠١٨ م**، كان صباحاً قاسياً وضربة مؤلمة تلقاها الشعب الفلسطيني، امتزجت فيه المشاعر حزناً وفخراً بارتقاء بطلين من أبطال الأمة ممن أقضّوا مضاجع الاحتلال وسلبوا النوم من عيون قادته ومغتصبيه، إذ اقتحمت قوة صهيونية خاصة مدينة رام الله وأطلقت النار نحو سيارة فلسطينية، كان يستقلها منفذ عملية "**عوفرا**" صالح البرغوثي، ليرتقي شهيداً نحسبه كذلك- بعد أن نكّل وأثخن في جنود الاحتلال ومستوطنيه، وبعد ساعات من عملية الاغتيال تلك، توجّهت الأنظار نحو مدينة نابلس حيث وقع اشتباك مسلّح بين قوة من جيش الاحتلال ومقاوم فلسطيني، فكانت الفاجعة بارتقاء البطل المُطارد أشرف نعالوة منفذ عملية (**بركان**) بعد أن جرّع الاحتلال مرارة ظلمه وجبروته وسقى جنوده الموت والقهر أشكالاً وألواناً.

◄ سريعاً وقبل أن تجف دماء الشهداء الطاهرة التي روّت ثرى أرض فلسطين المباركة، وبعد ساعات قليلة من عمليتي الاغتيال، جاء الرد حاسماً ليشفي صدور قومٍ مؤمنين ويذهب غيظ قلوب الموحّدين، بعملية طعن جريئة في القدس المحتلة نفذها الشهيد البطل "**مجد مطير**" حيث هاجم بـ "**سكين مطبخ**" جنديين صهيونيين مدججيْنِ بالسلاح فأصابهما بجراح، وبعد ساعتين فقط من عملية الطعن وقعت عملية إطلاق نار بطولية نفذها بطل جديد من أبطال الضفة قرب مستوطنة "**جفعات أساف**" شرق رام الله أسفرت على الفور عن مقتل ثلاثة جنود صهاينة وإصابة آخر بجراح خطيرة، واغتنام قطعة سلاح، بعد أن سحق المنفّذ البطل الجنود الصهاينة وأجهز عليهم، ثم انسحب بسلام.

كتائب الشهيد عز الدين القسام تبنت عمليتي إطلاق النار "**بركان**" و"**عوفرا**"، وأعلنت أن الشهيدين "**أشرف نعالوة**" و"**صالح البرغوثي**" هما مجاهدان من جنود كتائب القسام وتوعّدت العدو بمزيد من العمليات التي ستحرقه، وتذيقه بأس رجالها من حيث لا يحتسب العدو ولا يتوقع، فيما لا يزال منفذ عملية "جفعات أساف" مطارداً حتى اليوم، وبصمات كتائب القسام تبدو واضحة على هذه العملية.

وتستمر ضفة العياش في مفاجأة العدو وإرباك حساباته الأمنية، وتوجيه الضربات المستمرة لجنوده ومغتصبيه حتى يعلموا أن بلادنا حرامٌ عليهم، وأنه لا مُقام لهم في أرضنا، ولن يحلموا بالأمن فيها ما دام فينا عرقٌ ينبض، وبرغم كل المحاولات الآثمة من أباطرة التعاون الأمني مع العدو الغاصب، إلا أن آساد الضفة الأُباة ما زالوا على العهد والوعد، ولا زال في جعبة القسام وفصائل المقاومة وشباب الانتفاضة، ما يسوء العدو ويكسر شوكته ويعيد للضفة وَهَجَها وأمجادها وجذوة الجهاد فيها بانتظار نصرٍ عظيم وفرجٍ قريب وعودةٍ مباركة للقدس والأقصى.



مـــادة حصريـــة

مذكـرات الشيـخ رفاعي طـه (10)

من مؤسسي
الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها محمد إلهامي

أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية عنـد أول عقبة

أول أيـامـي في الـجـامـعـة كـان هـو يـوم ٦ أكـتـوبـر ١٩٧٣ م.
لم نصدق أننا عبرنا القناة إلا حين أذاعـت الخبر الإذاعـات الأجنبيـة
انتبه اليسار مبكراً إلى أن حرب أكتوبر كانت حرب تحريك لا تحرير

لقراءة الحلقات السابقة:

وقعت حرب أكتوبر في أول أيامي بالجامعة..

ولكن قبل أن أنتقل إلى هذا اليوم، ينبغي أن أذكر مصير المجموعة التي كوَّنْتُها في المدرسة والتي سمَّيْناها **"جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"**، تلك المجموعة التي رويت سابقاً كيف أننا بنيناها على حلم بسيط واضح: أن ندخل إلى الكلية الحربية، لننفذ فيما بعد انقلاباً عسكرياً ونقيم الدولة الإسلامية، مثلما فعل عبدالناصر لما أسس دولته بانقلاب على الملكية ولم يكن إلا مجرد ضابط!

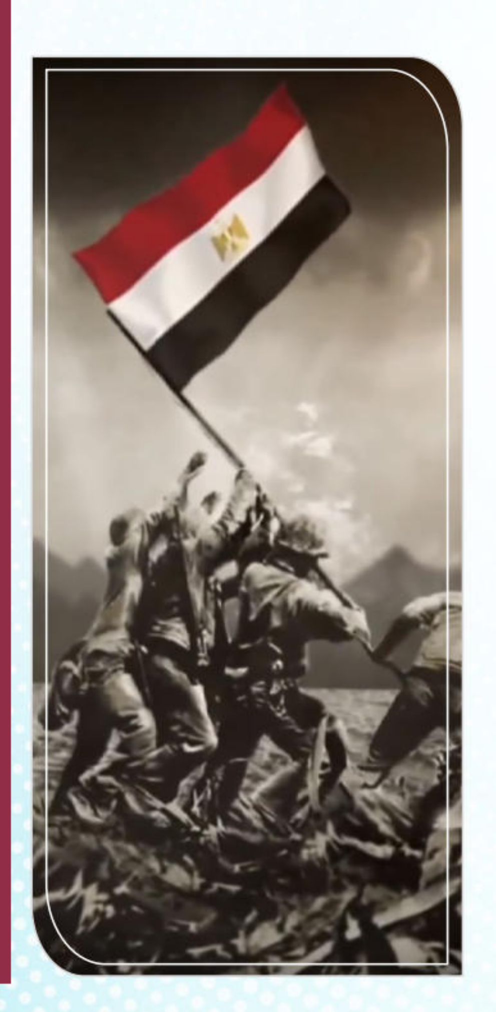
بلغت هذه المجموعة خمسة عشر طالباً، وبمجرد ظهور نتيجة الثانوية العامة نفذنا جميعاً بلا استثناء الخطوة الأولى: التقدم بطلبات الانتساب للكلية العسكرية: الكلية الحربية والكلية الفنية العسكرية وكلية الشرطة، كنتُ أنَسِّق وأتابع، لكن اختيار هذه الكليات كان متروكاً لكل شخص بحسب ما يرى من مواهبه وميوله.

لكن لم يفلح إلا واحد فقط في الانتساب للكلية الحربية!! وتفرق البقية، اثنان دخلا كلية الطب، أحدهما هو د. منصور عبدالحميد الذي يشغل الآن رئيس جامعة أسوان، وقد استمر الرجل متديناً وإن لم يكن **"إسلامياً"** بالمعنى الحركي. والآخر هو عبدالحميد لا يحضرني اسمه كاملاً وهو الآن عميد لكلية الطب جامعة أسيوط، والتحق أحمد سالم رحمه الله بكلية العلوم وصار فيما بعد رئيساً لقسم الجيولوجيا بالكلية، وكان قد أَمَّل أن يدخل قسم الرياضيات ولكن لما قضى الله بافتراقنا الدراسي دخل الجيولوجيا، وثمة أخ أيضاً اسمه سمير التحق بكلية الهندسة وانقطعت عني أخباره، والبقية لا أذكرهم الآن.



كان خروج الجميع لاعتبارات تتعلق بالطول أو بقوة النظر أو باختبارات في كشف الهيئة، والأهم من ذلك أن دخول مثل هذه الكليات كان يتوقف على قوانين أخرى غير مكتوبة، وهي الأقوى والأولى: تلك هي قوانين الوساطة والمحسوبية، ولم يكن لنا من وسائط بطبيعة الحال.

وهكذا تعطلت خطتنا الطموحة في إقامة الدولة الإسلامية عند المطب الأول، ومن هنا تفرقت السبل بالمجموعة بين الكُلِّيَّات، ومَّرت السنة الأولى علينا وقد أخذتنا رهبة الكلية ودَوَّامتها، وكان أولئك الذين دخلوا إلى الطب والهندسة هم الأكثر انشغالاً، وقد انشغلت أنا في مسألة إعادة الثانوية العامة بالإضافة لأمـور الكلية التي التحقت بها. لقد كان أولئك الشباب متفوقين، والجامعة في سنواتها الأولى تطرح تحدياً على المتفوق، الذي يختبر تفوقه حقاً بين أقرانه ونظرائه المتفوقين الذين دخلوا معه إلـى نفس الكلية، وعادة ما تكون الاستجابة لدى المتفوق أن ينغمر في هذا التحدي الجامعي!



لم يكن لأيٍّ منا في هذه السنة نشاط جامعي يُـذكَـر، ولا خطر ببالنا أن نكون عناصر قيادية، وإنما كنا نشارك فيما هو موجود، ولم يزل اليسار في تلك الفترة هو صاحب اليد العليا في الساحة الطلابية. ظل التفكير في قلب نظام الحكم حاضراً في عقولنا وقلوبنا لكن السنة الأولـى بأحداثها التي سأذكرها لاحقاً شغلتنا.

وأما الذي التحق بالكلية الحربية فقد انفصل عنا فيما بعد، وآخر اتصال بيني وبينه كان وهو في رتبة الملازم أول، وكنت متابعاً لأخباره، وغالب ظني أنه لم يخرج إلى المعاش بعد، إلا أنه على أبواب الستين الآن وليس ثمة داع لذكر اسمه، إلا أن انشغاله عنا كان مُضاعَفًا: غمرة الكلية وسطوة الاتجاه الجديد الذي تفرضه مناهج التربية والتأطير والتشكيل العسكرية السلطوية الدولتية، والتي لا يكاد ينجو أحد من تحولاتها الجذرية.

لم نستفق من غمرة السنة الأولى إلا في إجازة منتصف السنة، عقدنا أول اجتماع فيما بيننا، بمن فيها هذا العضو الوحيد الذي استطاع الالتحاق بالكلية الحربية، وشهد هذا الاجتماع تحولاً في مسار الحلم الطموح، **فقد طرح أحمد سالم فكرة تقول:** لئن كنا أخفقنا في الدخول للكليات العسكرية فيجب أن تكون مهمتنا القادمة التفوق في الكلية حتى الوصول إلى رتبة الأستاذ الجامعي، فيجب علينا جميعاً أن نكون أساتذة جامعيين، لكل منا دوره المؤثر في التغيير من خلال موقعه المرموق، ومهما يكن فإن الأستاذ الجامعي لا يقل أهمية عن ضابط الجيش أو ضابط الشرطة.

تداولنا النقاش حول هذه الفكرة، وكان ثمة ميل عام إليها، أو نستطيع أن نصوغ الأمر بعبارة أخرى: كان هذا الاجتماع هو الذي تحولنا به من المنهج الثوري التغييري إلى المنهج الإصلاحي المهادن، ثم سارت بنا أودية الزمان فانتهى معها المشروع الإصلاحي أيضاً.

"أستطيع القول الآن إن هذه كانت المحاولة الأولى غير الناجحة في تجربتي الحركية."



وأعود من ذلك الاجتماع في منتصف العام الدراسي الأول إلى بداية العام الدراسي، ومن المجال الخاص إلى المجال العام.. لقد كان أول أيامي الجامعية هو اليوم المشهود في التاريخ المعاصر: **٦ أكتوبر ١٩٧٣ م**.

سجلت هذه المذكرات في صيف ٢٠١٥ م.

ذهبت إلى الجامعة يوم **٣ أكتوبر**، حصلت على سكن خارج المدينة الجامعية، ضمن "رابطة أبناء قنا" في محافظة المنيا، وذلك لأن سني أكبر من من الصف الدراسي، وقد ذكرتُ سابقاً أنني دخلت الصف الثاني الابتدائي وكان من المفترض أن أدخل إلى الصف الثالث الابتدائي، فبَقِيَتْ فترة الأشهر الستة الزائدة حتى منعتني من التسجيل في المدينة الجامعية كما كان النظام المتبع في ذلك الوقت.

أنهيت إجراءات الالتحاق بالجامعة، ثم حضرنا حفل الافتتاح في يوم السادس من **أكتوبر ١٩٧٣ م**، وكـان هذا الحفل تقليداً تتبعه جامعة أسيوط، يتجمع الطلاب الجدد في صالة الألعاب الرياضية ويخطب فيهم رئيس الجامعة وبعض الأساتذة، وكان رئيس الجامعة في ذلك الوقت محمد حمدي النشار وكان خريج كلية التجارة، وانتهى الاحتفال، وأثناء رجوعنا إلى البيوت كنا نرى حالة غليان في الشارع عند الساعة الثانية وعشر دقائق، يصيح بعض الناس: قامت الحرب! ونسأل: أي حرب قامت؟! وكنت حينها في أتوبيس خاص بالجامعة ينقل الطلبة بين مباني الجامعة القديمة ومبانيها الجديدة، حتى إذا مررنا على كُشْكٍ صغير كنا نشتري منه الجرائد والمشروبات الغازية نزلتُ من الأتوبيس وتوجهت إليه حيث اجتمع الناس عنده، وكان صوت المذياع بدأ يصدح بالبيان الأول بعد حرب أكتوبر.



كبَّر الناس جميعًا، وكبَّرْنا، وكان أغلب هذا الجمع من الطلاب، وفوراً وبتلقائية كنا نقول: **يجب ألا تنتهي هذه الحرب إلا بتحرير فلسطين**، وسرعان ما تطور هتافنا وهتاف الناس معنا: **إلى فلسطين إلى فلسطين**. وفي اليوم التالي كانت الخطابات الإعلامية الرسمية تتجاوب مع هذه المشاعر وتتحدث عن فلسطين وتحريرها، وكانت من أروع لحظات ارتفاع الروح المعنوية لـدى الشعب المـصري، بل ربما لا تشبهها لحظة أخـرى، وبلغت الثقة بالجميع أن هذه المعركة هي معركة تحرير فلسطين.

كـــان كبار السنّ أكثـــر تـــردداً وإحجاماً عن مشاركتنا هذه الفرحة، لم تزل ذكرى نكبة يونيو **١٩٦٧** راسية في صدورهم، يتذكرون حين سمعوا أنباء إسقاط الطائرات المتكررة ثم استيقظوا من الوهم اللذيذ على الواقع المر، كان لسان حالهم ومقالهم: وما يدريكم لعل إسرائيل هي التي هاجمت ونحن الذين ننذحر. لكن هؤلاء انضموا إلينا حين بدأت الإذاعات العالمية مثل: بي بي سي ومونت كارلو وصوت أمريكا، وهي الإذاعات الثلاث التي كانت مشهورة في ذلك الوقت تنقل خبر المعركة وتؤكد أن القوات المصرية صارت في الضفة الشرقية من قناة السويس، وهكذا كان اليوم التالي يوماً اجتمعت فيه مشاعر الناس صغيرهم وكبيرهم على الفرحة العارمة والأمل الكبير.

ما لبثت أن جاءت الأخبار بما لا تشتهي السفن، ليست إلا أياماً حتى صدر قرار وقف إطلاق النار واستجابت له الحكومة المصرية، كان وقف إطلاق النار طامّة نزلت على الناس في مصر، لم يكن منهم من يؤيده، ولم يكن منهم من يتوقعه.

ومما يُحسَب لليسار هنا، والذي كان غالباً على الساحة الطلابية وعلى مجمل الحالة الثقافية والإعلامية في مصر، أنه أعلن أن حرب أكتوبر بهذا الشكل إنما هي حرب تحريك لا تحرير، وقد كان السادات بعد عشرة أيام من بداية الحرب قد أعلن في خطابه الشهير **(١٦ أكتوبر١٩٧٣م)** عن استعداده للسلام ولحضور مؤتمر دولي للسلام سيُقنع القادة العرب والفلسطينيين بحضوره، وقد حاول السادات أن يبدو في هذا الخطاب كالمتحدث من موقع القوة وبدا أنه مصدوم من الموقف الأمريكي وألمح إلى خطورة الوضع بعد الجسر الجوي والبحري الأمريكي المتدفق لدعم إسرائيل.

وقد شكَّل هذا الخطاب صدمة للجماهير في مصر التي لم يكن منها أحد مستعدًا لسماع قبول وقف إطلاق النار فضلاً عن الحديث عن سلام بين العرب وإسرائيل. لكن أحلام الشعوب كانت في واد وحركة السياسة كانت في واد آخر، فقد عملت سائر القوى الدولية بما فيها الاتحاد السوفيتي على وقف إطلاق النار، وفيما بعد حدثت الثغرة وبدأ انقلاب الموقف العسكري لصالح إسرائيل، التي بدا أنها قد استوعبت المفاجأة وامتصت الصدمة وبدأت في التقدم من جديد.



التغيير السلمي أم التغيير العنيف؟

م. أحمد مولانا

في ظل معطيات الواقع الصعب، قد يحاول المرء استقراء دروس التاريخ بعدسة اللحظة الراهنة، فيخرج بنتائج مزيفة، واستنتاجات خادعة. فعقب موجة ثورات الربيع العربي في تونس ومصر واليمن راجت أطروحة نجاعة التغيير السلمي الذي حقق نتائج ملموسة بأقل قدر من الخسائر مما جنب البلاد الدمار. وأُعلن عن وفاة أنماط التغيير العنيفة التي لم تنجح سابقاً في تغيير أي نظام عربي من الأنظمة المستبدة.

ثم مع هبوب رياح موجات الثورات المضادة، ونجاحها في استعادة زمام الحكم الاستبدادي في بلدان الربيع العربي بالتوازي مع تمكن تنظيم (الدولة الإسلامية) من بسط سيطرته على مناطق شاسعة في العراق والشام، راج خطاب (السلمية دين من؟) وعلا سهم أطروحة التغيير بالقوة.

ثم مع فقدان التنظيم للأراضي التي سيطر عليها، وانهيار النموذج الذي قدمه، عادت أصوات دعاة التغيير السلمي للتغريد من جديد بأن خيارهم هو الأصوب، والدليل أن التغيير بالقوة لم ينجح قط في إقامة دولة إسلامية في العصر الحالي. ويردد هذا الكلام مفكرون، وشعراء، وشيوخ، وقيادات جماعات وأحزاب، وشباب أثخنتهم الجراح. ويحتاج ذلك الطرح لتحليل عقلاني يسترشد بحالات التغيير والأنظمة الراسخة التي نشاهدها حولنا في أنحاء العالم.

فالدول الكبرى الموجودة في عالمنا المعاصر لم تتأسس أنظمتها سوى عبر حروب أهلية دموية أو ثورات طاحنة أوجدت عقوداً اجتماعية جديدة بين الحكام والمواطنين. فأميركا بصورتها الحالية لم تتأسس سوى بحروب طاحنة ضد السكان الأصليين من أجل السيطرة على الأرض والموارد، ثم حرب ضروس في القرن الثامن عشر ضد بريطانيا العظمى من أجل الاستقلال عن الإمبراطورية العجوز وامتلاك القرار الذاتي، ثم بحرب أهلية طاحنة استمرت من عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٦٥ أسفرت عن مقتل قرابة المليون قتيل، لتنتهي الحرب برسوخ منظومة الحكم الأميركي الحالي.

أما بريطانيا التي دشنت إمبراطورية هائلة خلال القرنين السابقين على الحرب العالمية الثانية، فلم يتأسس نظامها الحالي الذي صارت فيه الملكية رمزية سوى بعد حروب داخلية رهيبة بين الملكيين والبرلمانيين، بلغت أوجها بسيطرة كرمويل على الحكم وتأسيسه لنظام جمهوري في القرن السابع عشر، قبل أن يستعيد الملكيون الحكم مجدداً، ولكن مع فقدانهم لاحقاً لسلطاتهم المطلقة.

وكذلك فرنسا التي يتغنى البعض حالياً بعدم سحق شرطتها لمتظاهري السترة الصفراء مثلما تفعل الأنظمة العربية مع شعوبها،

فلم يتأسس نظامها الجمهوري إلا بعد ثورة حمراء على الأسرة الحاكمة الفرنسية عام ١٧٨٩، ثم واجهت الثورة بعد ذلك التحالفات الأوربية التي نجحت في إعادة الملكية مؤقتاً إلى فرنسا، قبل أن ينجح الفرنسيون مجدداً في إعادة الحكم الجمهوري النيابي عام ١٨٤٨، فيما يُعرف بالجمهورية الفرنسية الثانية بعد حروب ومواجهات داخلية وإقليمية.

وحتى إيران، الوحش الإقليمي الـذي يبتلع حالياً الدول العربية الواحدة تلو الأخرى، فلم يتأسس نظامها الخميني سوى عبر ثورة شعبية دموية أطاحت بحكم الشاه في نهاية سبعينات القرن المنصرم، وأعدمت قرابة ألفين من أعوان الشاه عبر محاكم ثورية قادها صادق خلخالي.

بل، وحتى النظام العسكري الحاكم في مصر فلم يصل للسلطة سوى بانقلابين عسكريين، الأول في يوليو ١٩٥٢، والثاني في يوليو ٢٠١٣. وكذلك الحال في النظام البعثي السوري الذي وصل للحكم عبر انقلاب عسكري قاده حافظ الأسد عام ١٩٧٠.



وكذلك الوضع في المملكة العربية السعودية التي نجح في تكوينها الملك عبدالعزيز آل سعود بعد حروب متنوعة مع الأشراف في الحجاز، وآل رشيد في حائل، والإخوان في السبيلة وغيرها. وهنا لا أتناول دور الدول الكبرى في تأسيس الأنظمة العربية، إنما أتناول كيفية تمكن قادة هذه الأنظمة من تأسيس حكمهم، والتغلب على خصومهم.

وإذا كانت هذه هي دروس الواقع المعاصر، فدروس التاريخ أكثر دلالة، إذ لم تنشأ الدولة النبوية سوى بعد قتال الأعداء المتربصين بها في مكة وغيرها. وكذلك لم تنشأ الدول الأموية والعباسية والعثمانية سوى بعد حروب طاحنة.

إذاً فتأسيس الدول والأنظمة الراسخة لم يتحقق إلا عبر أدوات التغيير غير السلمي، فهذه هي حقائق الواقع ودروس التاريخ. أما العمل السلمي فتكون له جدوى في التمهيد للتغيير العنيف، أو في إحداث تغيير في ظل منظومة حكم تحترم خيارات الشعوب. أما في غير ذلك فما هو إلا وهم وسراب يحسبه العطشى ماء.

ويتفرع على أطروحة عدم جدوى أي تغيير سوى التغيير السلمي، أطروحة أخرى تزعم أن الثورات والتمردات تفشل في النهاية غالباً. ورغم أن هذا الزعم لا يستند إلى دراسة وافية إنما إلى نماذج منتقاة تدعمه، فإنه لقي رواجاً وانتشاراً. ولا أجد شيئاً يفنده أفضل من دليل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لتحليل التمرد الصادر عام ٢٠١٢؛ إذ ورد فيه حسب إحصائية هامة أن عدد انتصارات التمردات يماثل عدد انتصارات الحكومات؛ إذ حيث جاء فيه ما يلي:



"وقع ما لا يقل عن ١٣٠ تمرداً مسلحاً منذ الحرب العالمية الثانية، ولا يزال هناك ما لا يقل عن أربع وعشرين تمرداً مستمراً حتى أواخر عام ٢٠١١. ويبلغ متوسط استمرار هذه التمردات أكثر من ٢١ عاماً. ومن بين حالات التمرد المنتهية:

- انتهت حوالى ٣٦ في المائة بانتصار المتمردين بعد استغراق فترة صراع بلغ متوسطها قرابة ١٠ سنوات.
- كان لدى ٢٨ في المائة تقريباً نتائج متباينة، لأن المتحاربين توصلوا إلى تسويات تطلبت من الجميع تنازلات مهمة. وبلغ متوسط استمرار التمردات في هذه الصورة قرابة ٨ سنوات.
- أسفرت ٣٦ في المائة من الحالات تقريباً عن انتصار الحكومة، بعد انقضاء فترة صراع بلغ متوسطها ٢١ عاماً".

ولا يعني ما سبق بطبيعة الحال أن أي محاولة تغيير بالقوة ستنجح، فهناك مقومات للتغيير متى افتقدت لن تنجح محاولات التغيير، دون أن يعني ذلك أن التغيير بالقوة غير مُجدٍ.

العسكر والإخوان المسلمون

محمود جمال



مقدمة

يسيطر العسكر المصرية بشكل فعلي على الحكم في مصر منذ عام ١٩٥٢ م، بعد قيام مجموعة من الضباط داخل الجيش المصري أطلقوا على أنفسهم اسم الضباط الأحرار بانقلاب على النظام الملكي الذي كان يحكم مصر في تلك الفترة، ونجحت تلك المجموعة فيما كانوا يريدون تحقيقه وسيطروا على الحكم وغادر الملك فارق وحاشيته البلاد.

وأيد الشعب والغالبية منه ذلك التحرك العسكري وأطلق عليه "ثورة ١٩٥٢". ومنذ هذا العام أصبحت مصر جمهورية يحكمها الجيش ويسيطر على مناصبها العليا والإدارية بوصفه الوصي على الإرادة والإدارة المصرية، وذلك طبقاً لنظرة مجلس قيادة ثورة يوليو 2591 بأن الجيش هو الأكثر قدرة على قيادة الدولة، وأن المدنيين ومن ضمنهم الحركات الإسلامية لا يصلحون لقيادة الدولة المصرية.

وتعامل العسكر بعد تحرك الجيش ضد النظام الملكي في مصر عام ١٩٥٢ م مع الحركات الإسلامية والمؤسسات الدينية والمتدينين والمعارضين للحكم العسكري بشكل عام بخطة محكمة مدروسة، حتى لا تكون لتلك الجماعات أو الأشخاص تأثير وتهديد للنظام العسكري، الذي رُسخت أركانه بعد ١٩٥٢ م، وحتى وإن تعامل العسكر بشكل إيجابي في بعض الفترات مع الحركات والمؤسسات الدينية فهذا التعامل كان من باب المناورة السياسية لمواجهة حركات أخرى، شيوعية كانت أو اشتراكية، ولكن سرعان ما كان يقوم العسكر بعد تحقيق الهدف المرجو من هذا التعاون بالتنكيل بهم مرة أخرى.



أولاً: حول العلاقة بين الإخوان وعبد الناصر



بدأت العلاقة بين مجموعة الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين في أربعينيات القرن الماضي، إذ كان ثمة تعاون بين الضابط جمال عبد الناصر مع تنظيم "الإخوان المسلمين"، من خلال أحد زملائه في تنظيم الضباط الأحرار في ذلك الوقت وهو الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف.

ومما يقوله الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل حول هذه المسألة "أثناء حرب فلسطين حدثت اللقاءات الأولى. ولقد أعجب عدد من الضباط الأحرار ومن بينهم جمال الناصر بفكر الإخوان. واقتربوا منه وربما راودتهم فكرة الانضمام إليه، فلا غرابة في ظل هذه الظروف أن تقع معاملتهم معاملة خاصة من قبل ثورة ١٩٥٢ " [١] .

جدير بالذكر أنه في الأيام الأولى لحركة الضباط الأحرار ، أصدر مجلس قيادتها قراراً بحل جميع الأحزاب مستثنياً جماعة "**الإخوان المسلمين**" لاعتبارها "جمعية دينية دعوية"، كما أعاد المجلس فتح التحقيق في مقتل مؤسس الحركة حسن البنا، فقبض على المتهمين باغتياله وأصدر أحكاماً قاسية بحقهم، وعفا عن معتقلين من الإخوان.



لجمال عبد الناصر خطابان يوضحان طبيعة العلاقة بينه وبين جماعة الإخوان المسلمين، الخطاب الأول كان عام ١٩٥٣، وذلك بعد نجاح تحرك الجيش بفترة قليلة، وكان يحاول عبدالناصر في تلك الفترة أن يكسب ود أغلب التيارات السياسية والدينية، الخطاب الثاني كان عام ١٩٦٥ م، بعد الهجمة الشديدة التي مارسها نظام عبد الناصر على جماعة الإخوان المسلمين.

ألقى جمال عبد الناصر وقت أن كان البكباشى عبد الناصر خطاباً في عمال مصنع شركة التقطير بـ"الواسطى" نيابة عن اللواء محمد نجيب يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٣ م،

(١) محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، قصة بداية ونهاية حكم أنور السادات، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣ ، ص ٢٧٠

وسط حشد من جماعة الإخوان المسلمين، وجاء في التسجيل الصوتي "أيها الإخوان، أنا معكم، إن الجهاد سبيلنا، وحتى نستطيع أن نجاهد يجب أن نجاهد أنفسنا أولاً، يجب أن نقوم أنفسنا أولاً، فإذا ما قومنا أنفسنا استطعنا أن نقاوم عدونا."

وأكمل عبد الناصر خطابه قائلاً : "أيها المواطنون إنني أقول لكم يجب أن نتفهم ما نقول ولا نكون كالبغبغاء لا نقول مالا نفهم، الله أكبر ولا حكم إلا بالقرآن، إنني معكم أيها الإخوان فانظروا إلى حركتنا وماذا حققت، لقد قامت حركة الجيش فقضت على الفساد، فهل هذا يتنافى مع تعاليم القرآن؟

لقد قامت حركة الجيش للقضاء على الظلم الاجتماعي فهل هذا يتنافى مع حكم القرآن، أيها الإخوان إننا نحقق ما ينادي به القرآن ونحقق ما ينادي به الله" [٢].

ظلت العلاقة بين جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان مستقرة، حتى دخول مجلس قيادة الثورة في خلافات بينية حول كيفية إدارة المرحلة الانتقالية، مما أدى إلى تقديم الرئيس محمد نجيب استقالته، وبناء على ذلك تمرد بعض ضباط سلاح الفرسان على جمال عبد الناصر، ولكن سيطر جمال عبد الناصر على تلك المحاولة التي كانت من الممكن أن تطيح به.

---

(٢) جمال عبدالناصر للإخوان: لا حكم في مصر إلا بالقرآن | (تسجيل صوتي نادر)، الرابط

أزمة مجلس قيادة الثورة انعكست بالطبع على علاقة عبد الناصر بجماعة الإخوان، وتحديداً بعد تعرض عبد الناصر لمحاولة اغتيال عام ١٩٥٤ م، أثناء إلقائه خطبة جماهيرية في مدينة الإسكندريةالساحلية، فأطلقت عليه ثماني رصاصات لم تصبه أي منها، لكنها أصابت الوزير السوداني "ميرغني حمزة " وسكرتير هيئة التحرير بالإسكندرية "أحمد بدر"، وألقي القبض على مطلق الرصاص وصدر حكم قضائي بحل جماعة الاخوان وحظر نشاطها. وبدأت ملاحقة التنظيم قضائياً وفتح عبد الناصر السجون أمام قياداته وأعضائه، فسجن عدداً كبيراً منهم، وصدرت ضد بعضهم أحكام بالإعدام وضد آخرين بالسجن عشر سنوات أو الأشغال الشاقة.



وامتدت المواجهات إلى النقابات المختلفة، فحُلّ مجلس نقابة المحامين المصرية ثم نقابة الصحافيين، كما ألغيت الحياة النيابية والحزبية ووحدت التيارات في الاتحاد القومي عام ١٩٥٩، ثم الاتحاد الاشتراكي عام ١٩٦٢.

وفي عام ١٩٦٥ م، قام عبد الناصر بإلقاء خطاب أمام جمهور عريض من مؤيديه ليشرح لهم طبيعة الإخوان المسلمين وقال نصاً كما جاء على لسانه:

"كان الإخوان بعد ثورة ١٩٥٢م، يريدوا أن يعملوا نفسهم أوصياء علينا وأعلنوا الحرب علينا وأطلقوا الرصاص علينا، وفي عام ١٩٥٤م حاولوا اغتيالي في المنشيّة بالإسكندرية، وبدأ الصراع واعتقل أعضاء الإرهاب في حزب الإخوان المسلمين، في عام ١٩٥٤م،

كنا بنتفاوض مع الإنجليز علشان الجلاء وفي نفس الوقت كان الإخوان يعقدوا اجتماعات سرية مع السفارة البريطانية وقالو لهم إننا نستطيع أن نستولي على السلطة، وكان الإخوان كحزب لا يمثل الشعور الذي كنا نشعر به في مصر. المرشد أتسأل عندما كنا نحارب في القنال ما موقفكم من حرب القنال قال أنتم مصلحتكم أن تحاربوا في القنال ونحن مصلحتنا أن نحارب في بلد آخر، وقال هذه دعوة الإخوان المسلمين، كلام كله تضليل وكلام كله تجارة بالدين".

وأكمل عبد الناصر خطابة وقال " في عام ١٩٥٣م، كنا نريد أن نتعاون معهم على أن يسيروا في الطريق السليم، فقابلت المرشد العام للإخوان المسلمين" وطلب ثلاثة مطالب وهي:

١ "إقامة الحجاب في مصر، وكل واحدة تسير في الشارع ترتدي طرحة، وبكده نرجع لأيام الحاكم بأمر الله يخلي الناس متمشيش بالنهار وتمشي بالليل".

٢ عن المطلب الثاني قال عبد الناصر: "قالولي المرأة متشتغلش".

٣ وعن المطلب الثالث قال عبد الناصر : قالو لي اقفل السينما والمسارح وأخليها ضلمة. مكنتش ممكن طبعاً ان أعمل كده".

أكمل عبد الناصر حديثه والذي كان مدته ١٤ دقيقة وقال: "بدأوا الصراع معانا عام ١٩٥٤م، بالتضليل وبدأوا محاولة الاغتيال وبنفس الوقت حوكموا بمحكمة الثورة، السنة اللي فاتت عام ١٩٦٤م،

قلت عفا الله عما سلف وطلعتهم كلهم من السجن وعملـنا قانون يرجع كل واحد منهم إلى عمله ويأخذ مهيته ويأخذ دوره في الترقي وكل شيء، في سنة١٩٦٥ م، مسكنا مؤامرة الإخوان والجهاز السري وخطط الاغتيالات والتدمير وكلام الواحد لما يشوفه يستغرب، بيقولوا إن كل اللي في المجتمع كافر ومحدش مسلم غيرهم، هما بيعملوا أنهم يستولوا على السلطة وربنا اللي يحكم مش الإنسان اللي يحكم، بيقولوا إننا نرفض التمثيل الشعبي والبرلمان ولكن حكم الله وحكم الله هو المرشد أكبر واحد فيهم وهو بالنسبالهم خليفة الله وهو رسول الله، واحنا كلنا كفرة مش إحنا بس كل العالم كل الدول العربية اللي هما قاعدين فيها دول كفرة بملوكها ورؤسائها ومحدش مسلم غير الإخوان المسلمين".


محاولة أثيمة لاغتيال الرئيس عبد الناصر
عامل من الإخوان يطلق عليه ٨ ر...

"اعتقلـوا واعتقلنا أيـضاً جميـع تنظيـمات الإخـوان القديـمة وقلـنا إن العملية مش عملية بسيطة والقصة مش قصة عملية اغتيال جمال عبد الناصر، اغتيال عبد الناصر حيطلع ١٠٠٠ زي جمال عبد الناصر، أما العملية عملية اغتيال الشعب وهو اللي مش حنقبله، والتدمير وأنهم لينادوا باسم الله وهم مش بينفذوا حكم الله، هم عايزين يحكمون حكم فشستي".

وأكـمل: "وبدأنـا نستـعرض حالـتهم كلهـم، الـناس اللي اشـتركوا فـي التنظـيمات السرية كلهم حيتقدموا للمحاكمة، الناس الخطرين اللي أفرجنا عنهم عام ١٩٦٤م، وكانوا أساساً يمثلون رؤوس الجهاز السري لجماعة الإخوان دول حنعتقلهم بعد كدة الباقيين يطلعوا نفرج عنهم ونديهم فرصة تانية".

واستكمل عبد الناصر حديثه وقـال: "بعد كده أي واحد فيهم حيلعب بديـله حنعتقله ومش حنخرجه أبداً من المعتقل، كفاية نحن لا نستطيع أن نغامر بمكاسبنا اللي حققناها في ال ١٣ سنة اللي فاتت، ولا نستطيع أن نتهاون أبداً في مصيرنا أن نسلم أنفسنا لأعوان الاستعمار والرجعية، حتى لو كان اسمهم إخوان مسلمين، إحنا كلنا نعرف أن الإسلام في هذا ليس إلا خديعة علشان يضحكوا بيها على عقول الناس "العسكريين والمدنيين"، علشان ينضموا ليهم، أما هما لا هم مسلمين ولا هم إخوان، هما ناس حاقدين الحقد يملأ قلوبهم ونفوسهم، قيادتهم الموجودة في الخارج تعاونوا مع حلف بغداد، تعاونوا مع الدول الاستعمارية، تعاونوا مع أعدائنا، تعاونوا مع الرجعية العربية، وأثبتوا بالدليل الواضح أن حزب الإخوان المسلمين أو حركة الإخوان المسلمين تعمل لحساب الاستعمار وحساب الرجعية يمولها الاستعمار ويمولها الرجعيين، نحن حسب مبادئنا لن نسمح لأعوان الاستعمار ولا لأعوان الرجعية أن يكون لهم أي مجال ولا أي نشاط بيننا، لأننا بهذا نؤمّن مستقبلنا ونؤمن النجاح الذي حصلنا عليه".



الإخوان أشاعوا أن الإعتداء على الرئيس تمثيلية

وان الحكومة قامت بإخراجها للقضى على الاخوان قبل ان يهاجموها

كامل بسومي

مختار مكاوى

امام ابراهيم

وأضاف عبد الناصر: "الإخوان قاومونا سنة ١٩٥٤ م، وحـاولوا أنهم يـضربوا الـثورة وكانوا بهذا يخدموا مصالح الاستعمار لأن الإنجليز كانوا موجودين، وإحنا كنا اتفقنا على الجلاء وأن يتم خلال ٢٠ شهر، فقاموا هم وحاولوا أن يعملوا الاغتيالات وابتدأوا بمحاولتهم لاغتيالي أنا، واستطعنا إن إحنا نضربهم ونقضي عليهم".

وأنـهى حديـثه قائـلاً، "الشـعب ذلك الأام كشـفهم وعـرفهم ونبذهم، وحـبينا نديهم فرصة تانية ولكنهم لم يقبلوا بها".

ركز عبد الناصر في ذلك الخطاب علي القضايا القومية واليومية التـي تمـس المواطن المصري وحرص على إظهار جماعة الإخوان المسلمين على أنها تحاول أن تقوم بالتضييق على الناس بشكل عام، وتتآمر على الدولة المصرية وقضايا الأمة؛ لذلك اتهمهم مرات عديدة في الخطاب بالخيانة والعمالة حتى يؤصل تلك الفكرة في العقول والأذهان، حتى يحدث شرخ في العلاقة بين الشارع المصري وجماعة الإخوان المسلمين. وجدير بالذكر أن ذلك الخطاب استخدمة المعارضون لجماعة الإخوان المسلمين بعد ثورة يناير وأثناء فترة الرئيس محمد مرسي عند مهاجمتهم لجماعة الإخوان.

ذلك الخطاب وضح طبيعة التعامل الذي مارسة عبد الناصر مع جماعة الإخوان المسلمين، ويرى البعض أن عبدالناصر وضح في ذلك الخطاب قواعد تعامل العسكر مع جماعة الإخوان المسلمين والتيارات الإسلامية بشكل عام ، لعلمه المسبق عندما كان قريباً من جماعة الإخوان في الفترة ما قبل عام ١٩٥٢ م، مدى قدرة جماعة الإخوان المسلمين على التأثير في الشارع المصري؛ مما يتيح لها التأثير على الحكم العسكري في أي فترة من الفترات.



ثانياً: حول علاقة السادات بجماعة الإخوان

مع بداية السبعينـيات من القـرن المـاضي رحل حكم عبد الناصر بوفـاته، وحل بدلاً منه السادات بفترة حكم عسكري جديدة لم تبتعد كثيراً عن التحالف مع الإخوان والانقلاب عليهم ومصالحتهم ثم سجنهم، وهكذا كانت وتيرة الحياة بين تحالفات الإخوان والسادات.

فعمل نظام السادات على تشجيع التيارات الإسلامية على اكتساح الجامعات، ومن رجال السادات الذين ساعدوا وموّلوا التيارات الإسلامية رجل الأعمال الذي كان يملك ثروة ضخمة "عثمان أحمد عثمان". وكذلك "عثمان إسماعيل" محافظ أسيوط. ثمّ إنّ رجال السادات عملوا كل ما في وسعهم على تشجيع الجماعات الإسلامية للتصدي للناصريين والشيوعيين. وكان من نتائج هذه السياسة سيطرة الإخوان المسلمين وأنصارهم على الجامعات، فمثلاً سنة ١٩٧٨ فازوا بأغلب مقاعد جامعة الإسكندرية ومن بينها كلية الطب التي فازوا فيها بكل المقاعد وكلية الحقوق ب ٤٧ مقعدًا من جملة ٤٨ مقعدًا.

ولكن بالرغم من تعاون السادات مع جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية في فترات عديدة في وقت حكمه، إلا أنه في أواخر حكمه انقلب عليهم.

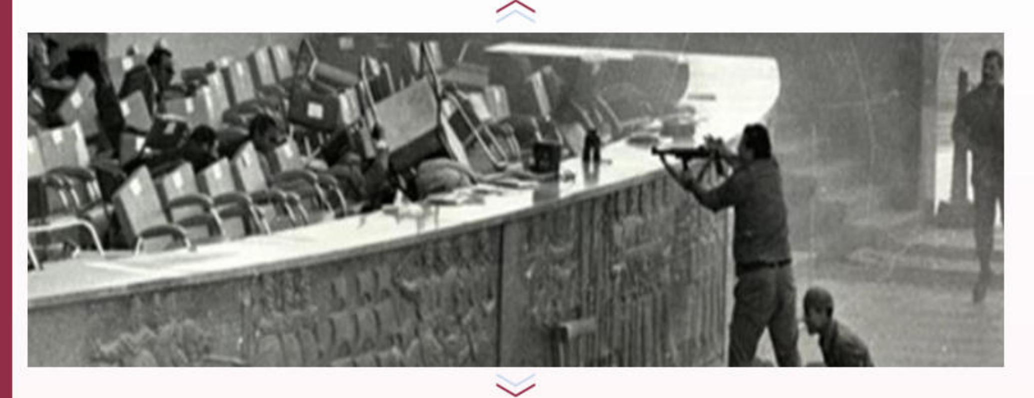
ومما يشير الي علاقة السادات بجماعة الإخوان والجماعات الإسلامية، ما جاء علي لسان أنور السادات في خطابه الأخير عام ١٩٨١م، قبل اغتياله وذلك بعد حملة الاعتقالات الشهيرة وقتها لقيادات جماعة الإخوان المسلمين وأغلب رموز المعارضة وقتها، وكان هذا الخطاب مشابه تماماً لخطاب عبد الناصر الذي أشرنا إليه سابقاً عام ١٩٦٥م، وأكد السادات في ذلك الخطاب أن الإخوان هم أعداء ثورة ١٩٥٢م، وأنهم يتخذون من الدين شعاراً فقط ولا يعملون علي تطبيقه، وأنهم لديهم مشروعهم الخاص، وقال السادات في ذلك الخطاب إنه لا يوجد شيء اسمه جماعات إسلامية؛ بل كل تلك الجماعات تتبع جماعة الإخوان المسلمين. ووصفهم بالشر والعمالة، وأنه أخرجهم من السجون وقام بإرجاعهم إلى وظائفهم ومكنهم من أخذ مستحقاتهم المالية.



ولكنهم أصروا على تدمير الدولة وتكفير المجتمع. جدير بالذكر أن الخطاب كان بعد اتفاقية كامب ديفيد وسط معارضة كبيرة من جماعة الإخوان والجماعة الإسلامية لتلك الاتفاقية، وكانت جماعة الإخوان تهاجم السادات بشكل كبير في مجلتها الشهرية "مجلة الدعوة".

ثالثاً: مبارك والإخوان

وصل حسني مبارك إلى السلطة بعد اغتيال محمد أنور السادات عام ١٩٨١. واتسمت علاقته مع جماعة الإخوان بعدة خصوصيات، من بينها المصالحة معهم ومع بقية القوى السياسية على غرار ما وقع مع بداية أي حكم جديد.



لكن إستراتيجية حسني مبارك تجاه جماعة الإخوان المسلمين لم تبعد عن إستراتيجية جمال عبد الناصر التي أسسها منذ عام ١٩٥٤م، وسار عليها من بعده أنور السادات والتي تستهدف بالأساس تقويض جماعة الإخوان التي لديها رصيد كبير في الشار ع المصري، حتى لا تمثل تهديداً للحكم العسكري.

ويوجد فيديو لحسني مبارك في أوائل فترة التسعينات مشابه لخطابات عبد الناصر والسادات، يوضح فيه سياسته تجاه جماعة الإخوان المسلمين، وجاء على لسان حسني مبارك في الفيديو "إن جماعة الإخوان المسلمين لا علاقة لها بالديمقراطية، وإن وصلت للحكم، ستقصي الجميع". وأضاف مبارك: "اوعوا تصدقوا أنهم عايزين ديمقراطية، بيستغلوها للوصول إلى الحكم، وإن نجحوا في ذلك ستكون الديكتاتورية بشعة،

وسيكفرون كل شيء على وجه الأرض". وتابع: "جماعة الإخوان لا تعرف الحوار إلا عن طريق القنابل والرصاص"، وقال: "وكالات الأنباء العالمية، كانت تتجاهل شهداء الشرطة الذي استشهدوا إثر مواجهات مع هذه الجماعات الإرهابية، وتذهب إلى الإرهابيين لتنقل عنهم استهداف الأمن لهم، وكأنهم لا يرون في هذه المواجهة إلا هؤلاء وحقوقهم فقط". وأضاف "تلك الجماعات قتلت ١٠٤ شرطي في الثمانينات".

ومما يراه بعض المحللون أن مبارك ترك نشاط الإخوان لينمو في الشارع المصري، ولكنه كان يراقبه حتى لا يخرج من الإطار الذي رسمه له، وجعل مبارك الإخوان ليس فقط فزاعة للأحزاب السياسية المعارضة بل جعلهم فزاعة لأمريكا ودول الغرب، إذ كان مبارك دائماً يحذر الإدارة الأمريكية من التنظيمات الإسلامية في مصر ومدى خطورتها على الأمن القومي الإسرائيلي كمبرر للعنف غير المبرر الذي يستخدمه وزير داخليته في كبح المعارضة.

ختاماً

السيسي قام بإنقلاب عسكري على رئيس منتمٍ لجماعة الإخوان، فكان نموذجاً غير سابقيه، لذلك نكّل مباشرة بهم وقتلهم وزج بهم في السجون، وهي بالأساس إستراتيجية الجيش المصري تجاه أي تيار إسلامي حتى لو كان سلمياً وسطياً معتدلاً لا يؤمن بأن العنف وسيلة من وسائل الإصلاح والتغيير .



فمنذ عام ١٩٥٤م، ينتـهج الحـكم العسـكري إستراتيجية واحـدة في التعامـل مع التيارات الإسلامية، وهي إستراتيجة تعتمد على التنكيل والإقصاء،

،ولكن لتحقيق أهداف تكتيكية محددة تخدم الحكم العسكري بالأساس يستعين بالإسلامين وسريعاً ما ينقلب عليهم، وهذا الذي يجب فهمه عند التعامل مستقبلاً مع العسكر.



جدير بالذكر أن ممارسات العسكر تجاه جماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٥٤م، وإلى عام ٢٠١٣ م، لم تنعكس على ردود أفعال جماعة الإخوان، وكانت في كل مرة تقع الجماعة في نفس الخطأ في تعاملها مع النظام العسكري؛ فكانت تتحالف معه ثم ينكل بها في نهاية المطاف، وتخرج من التجربة بخسائر كبيرة، وبرغم هذا لم تعد العدة المناسبة لمواجهة الحكم العسكري مستقبلاً.

ولكن مرت القوى الإسلامـية بعدد من التـطورات والتحـولات منذ انقـلاب 3 يولـيو ٢٠١٣ ، تحولت فيها طرق مواجهتها للحكم العسكري ،وذلك بعد تنامي الإدراك بوجود تناقض بين أهداف واستراتيجيات وبرامج القوى الشبابية تحديداً الموجودة داخل التيارات الإسلامية من جهة، وبين النخب القائمة على تلك الجماعات والحركات من جهة أخرى، فتغيرت المواقف وتبدلت التوجهات، وظهرت كيانات شبابية وثورية جديدة، في حين تدهورت مكانة وقوة كيانات أخرى. ولذلك لجأت بعض المجموعات الثورية والشبابية لأساليب أخرى لتحقيق أهدافها في مواجه الحكم العسكري، والذي ربما قد ينعكس على مواجهة الجماعة للانقلاب العسكري في مصر خلال السنوات القادمة.

مفهوم الجهاد العالمـــي بين المناصرة والمهاجرة

كرم الحفيان



مقدمة

نواصل معاً استعراض الفوارق المنهجية بين طريقة عزام وطريقة بن لادن في الجهاد، ونخصص هذه المقالة لاستعراض تفاصيل القضية المشتركة الأشهر بينهما، التي جعلت الكثيرين يعتقدون تطابق النموذجين أو على الأقل تقاربهما، وهي قضية "الجهاد العالمي".

ونلفت عناية القراء الأعـزاء إلى أن هذه الورقة سيغلب عليها طابع الدراسة الوصفية التوثيقية دون الدخول في تحليلات لا يتسع المقام للاستطراد فيها.

بادئ ذي بدء يتمحور البرنامج الجهادي المعولم عند عزام حول كيفية مؤازرة مشاريع المقاومات الإسلامية في المناطق الملتهبة، وذلك من خلال حشد الدعم الإنساني والإعلامي والخبراتي والعسكري (المجاهدين المتطوعين)، وصهره ضمن جميع الجماعات المجاهدة، مع السعي لتوحيد صفوفهم، والتحذير من المشاركة في صراعاتهم، فضلاً عن الاستقلال بمشروع سياسي جهادي يتجاوز الخطوط العريضة لخططهم وأهدافهم، وهو ما يمكن أن نطلق عليه "جهاد المناصرة".

"نحن ما أنشأنا منظمة جديدة، نحن أنشأنا مكتباً لخدمات الجهاد.. مكتب الخدمات وظيفته خدمة جميع الأحزاب الجهادية في داخل أفغانستان" [١].

ثم تحدث بإسهاب عن أهداف المكتب الرئيسية فعدد منها:

إيصال المساعدات الإنسانية، وطبع المصاحف والكتب العلمية والتعليمية ونشرها داخل أفغانستان، واستقطاب الشباب من كافة التيارات والجماعات الإسلامية العربية وتوزيعهم بين سائر الأحزاب الأفغانية المجاهدة، كي يقوموا بعدة أدوار هامة (إضافةً إلى قتال الشيوعيين والمحتلين الروس)، في مقدمتها: الإصلاح ومنع الاقتتال، وتقديم القدوة لإيقاف هجرة الأفغان للخارج، ناهيك عن بعض الأنشطة التعليمية [٢].

وعندما سُئل عن الوجهة القادمة بعد تحرير أفغانستان، أجاب قائلاً: "إن شاء الله ربنا يفتح لنا باباً في الفلبين، في اليمن الجنوبي لتحريرها من الشيوعيين، في أي مكان.. لكن إن شاء الله فلسطين هي المرشحة الأولى لتكون معترك جهادنا ومحط أنظارنا" [٣] . وكان هذا بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى وظهور حركة حماس قوةً صاعدة مؤثرة في الشارع الفلسطيني.

---

(١) موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن عزام، المجلد الرابع، ص٨٠٧ .

(٢) انظر: المصدر السابق.



"ورغم أنه كان لا يخفي أمنيته في أن تتحول أفغانستان إلى منطلق لتحرير العالم الإسلامي بأسْره، وذلك بعد تحررها أولاً، ثم قيام دولة إسلامية تُحكم بالشريعة، الأمر الذي يحتاج لسنوات طويلة من تربية وتعليم وتثقيف الشعب إسلامياً وفق رؤيته [٤]."

رغم جهره بأمنيته هذه، غير أنّه عند الحديث عن الخطوات الواقعية الإجرائية السياسية، دائماً ما كان يحيل إلى تصريحات واجتماعات وقرارات قادة الأحزاب الأفغانية المجاهدة أو من عرفوا بالقادة السبع: يونس خالص ورباني وسياف وحكمتيار (من قادة الحركة الإسلامية)، ومجددي وجيلاني ومحمدي (علماء من التيار المشيخي المتصوف او "الملالي") [٥] ، وهم رؤوس الأحزاب الجهادية السبعة الأساسية في أفغانستان .

نقل عبد الله أنس صهر عزام عنه: "لا يهمنا من يحكم أفغانستان من بين القادة السبعة (حكمتيار، رباني، مجددي، محمد نبي، سياف...)، نحن لا يحق لنا أن نتدخل في شؤونهم، أي واحد منهم يُتفق عليه أو تحصل له البيعة فذلك الذي نعترف به... فإذا دخلوا كابول واقتتل المجاهدون فيما بينهم فلا يجوز أن نقف مع واحد منهم ضد الآخر" [٣]

---

(٣) موسوعة الذخائر، المجلد الرابع، ص٨٢٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) يونس خالص وبرهان الدين رباني وعبد رب الرسول سياف وقلب الدين حكمتيار، هؤلاء الأربعة من قادة الحركة الإسلامية وتربوا على كتب المودودي وسيد قطب وابن تيمية. والثلاثة الآخرون هم سيد أحمد جيلاني وصبغة الله مجددي ومحمد نبي محمدي، وهم علماء من المدرسة المشيخية الصوفية التقليدية أو ما يعرف في أفغانستان "بالملالي"، والملا هو طالب العلم، والمولوي هو العالم.
الجماعات الأربع الحركية: الجمعية الإسلامية يرأسها رباني، الحزب الإسلامي برأسه حكمتيار، الإتحاد الإسلامي يرأسه سياف، الحزب الإسلامي يرأسه يونس خالص، الجماعات الثلاثة المشيخية: حزب الصف الوطني بقيادة جيلاني، جبهة الخلاص الوطني بقيادة مجددي، وحركة الإنقلاب الإسلامي بقيادة محمدي.

(٦) عبد الله أنس (صهر عزام وأميرالمجاهدين العرب في شمال أفغانستان)، ولادة الأفغان العرب، ط1، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢م)، ص٨٨.

ومع ميله الفكري والعملي إلى أربعةٍ منهم (الحركيين) وهم الأكبر حجماً و تأثيراً (85% من الجبهات) [٧] وعدم موافقته على بعض المواقف السياسية المفصلية للثلاثة الأخرين بيد أنه لم ينحز ويجيّش لطرف في مقابل الآخر، وبقي منهجه الإصلاح عند الخلاف، والفرح والتأييد عند الوفاق.

ونسوق هنا موقفين آخرين لعزام يؤكدان ما سبق:

الأول: مع هزيمة السوفييت وقرب رحيلهم بداية عام ١٩٨٨م، والبدء بالكلام عن البديل السياسي للحكومة الشيوعية الموالية للمحتلين السوفييت، طُرح الحل الأمريكي المتمثل بعودة ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه على رأس الحكم كمرحلة انتقالية في طريق الخلاص من الشيوعية. رفضت الأحزاب الأربعة الحركية، ووافقت الثلاثة المشيخية. أيد عزام وجهة نظر الرافضين دون معاداة الموافقين [٨] .

الثاني: بعد رفض الخيار الأول بسنة تقريباً، عُقدت اجتماعات ماراثونية داخلياً وخارجياً، أسفرت في النهاية عن تشكيلة حكومية جامعة بين الأحزاب السبعة. فرح عزام بهذه التوليفة، واعتبرها من التدبير الإلهي كونها توزّعت بين القادة المقبولين خارجياً والموثوقين عنده، ولأنها شهدت تنوعاً عرقياً (بشتون وطاجيك) وفكرياً (حركيين وعلماء) ومناطقياً (شمال وجنوب).

ففي الرئاسة: صبغة الله مجددي (تصنيفه معتدل غربياً) وهو طاجيكي من علماء الشمال وقائد أحد الأحزاب المشيخية، وفي رئاسة الوزراء: سياف وهو بشتوني من الحركة الإسلامية في الجنوب، وهو قائد أحد الأحزاب الحركية... وهكذا دواليك .

وقد سار على نفس الخط إلى حدٍ كبير، قادة المجاهدين العرب في حرب البوسنة مطلع تسعينيات القرن الماضي تحت قيادة الرئيس بيجوفيتش، إضافةً إلى تجربة خطاب ومن معه في الشيشان تحت قيادة الرؤساء المجاهدين الثلاثة: دوداييف ومسخادوف وياندرباييف نهاية تسعينيات القرن الماضي وبداية أول عشرية في القرن الحالي.

---

(٧) انظر: موسوعة الذخائر، المجلد الرابع، نظرتنا للجهاد الأفغاني، ص٤٧٣ .
(٨) انظر: المصدر السابق، ص ٦٠٥.
(٩) انظر: المصدر السابق، ص ٧٣٨ .

ملامح الجهاد العالمي عند بن لادن

على الطرف المقابل، أسس بن لادن طريقته الخاصة للجهاد العالمي تحت راية القاعدة، والتي يمكن أن نطلق عليها: "جهاد المهاجرة"، وتفترق هذه الطبعة عن "جهاد المناصرة" بمسألتين مهمتين:



الأولــى: الاستقلال عن مجاهدي البلد المضيف بمشروع سياسي جهادي، ونأخذ على هذا مثالين، أحدهما في أفغانستان، والآخر في العراق. فبعد تبلور فكر وإستراتيجية القاعدة عام ١٩٩٨ م، وإعلانها حرباً مفتوحة على أمريكا في كل مكان، أجمع المجاهدون الأفغان على رفض هذه الخطوة، وفي مقدمتهم حركة طالبان وقائدها الملا محمد عمر، الذي بايعه بن لادن بيعة كبرى أميراً للمؤمنين في أفغانستان، وقد أمره مـراراً بعدم تنفيذ عمليات عسكرية ضد الأمريكان، إلا أن بن لادن لم يمتثل، واستهدف بعدها سفارتين أمريكيتين في أفريقيا عام ١٩٩٨ م، ومدمرة بحرية في اليمن عام ٢٠٠٠ م، ثم جاءت عمليات الحادي عشر من سبتمبر داخل أمريكا.

وقد ذكر أبو حفص الموريتاني (مفتي القاعدة وقتها) من ضمن أسباب خلافه مع بن لادن: "مخالفته المستمرة لأوامر الملا عمر زعيم حركة طالبان فيما يتعلق بالعمليات ضد الأمريكان" [١٠]،وعلل إنكاره عليه بقوله: "إننا في ضيافة إمارة طالبان وقد أكدوا علينا مراراً في هذه المسألة وقالوا لنا لا تقدموا على أي عمل من هذا القبيل، وضعنا لا يتحمل ردة فعل على عمل كهذا، وللأسف القاعدة تجاهلت كل هذه الأمور وضربت بها عرض الحائط" [١١] .

(١٠) أخبار الآن، لقاء خاص مع أبي حفص الموريتاني المفتي السابق للقاعدة، الدقيقة ٢١،٤ ديسمبر ٢٠١٣

(١١) الجزيرة، ابو حفص الموريتاني هجمات سبتمبر ج 1، لقاء اليوم، رداً على سؤال: لكن أليست هذه نتيجة منطقية للفكر الذي اعتنقتموه منذ سنوات قبل ذلك؟.

والمثال الآخر من العراق، عندما أقدم فرع القاعدة هناك على إعلان سلطة سياسية عليا "دولة العراق الإسلامية" دون اتفاق مع مجاهدي وعلماء العراق، بل دون إنباء بن لادن نفسه بالقرار ! . (١٢)

رغم ذلك، أقرهم بن لادن ودافع عن المشروع بقوة، ودعا الفصائل العراقية لبيعة أبي عمر البغدادي أميراً للمؤمنين في العراق، وعدم تعطيل الوحدة بحجة أنهم لا يعرفونه ، فالرجل مزكّى من قادة القاعدة بالعراق: الزرقاوي (الأردني) وأبي حمزة المهاجر (المصري)، وهما من الثقات العدول عند بن لادن: "فالامتناع عن مبايعة أمير من أمراء المجاهدين في العراق بعد تزكيته من الثقات العدول بعذرالجهل بسيرته يؤدي إلى مفاسد عظام، من أهمها تعطيل قيام جماعة المسلمين الكبرى تحت إمام واحد وهذا باطل" . (١٣)

نستطيع هنـــا أن نستشعــر دون كثير عنـــاء نظرة بن لادن للدور السياسي المنوط به تجاه الساحات الجهادية، وهو ما تجسده كلمات عطية الله الليبي مفتي القاعدة للزرقاوي: "لابد أن تضع نصب عينيك أنك قائد ميداني في ناحية تحت قيادة كبيرة، هي أقوى وأكثر قدرة على القيادة العامة للأمة" . (١٤)

ورغم تراجع بن لادن بعد ذلك عن مسألة إعلان الدول أو مباركتها، واقتناعه بالعجز عن الحفاظ على أي دولة إسلامية يُعلن عنها في الوقت الحالي في ظل موازين القوى العالمية،(١٥) فإنه لم يظهر أي تراجع عن فكرة الاستقلال بالمشروع السياسي الجهادي عن مجاهدي البلد المضيف، وبقي للقاعدة مشروعها الخاص.

---

(١٢) للمزيد: كرم الحفيان، تنظيم القاعدة من أحداث سبتمبر إلى الربيع العربي، (اسطنبول: المعهد المصري، ١٨ سبتمبر ٢٠١٨ م)، ص٢٨ (إعلان دولة العراق الإسلامية).

(١٣) أسامة بن لادن، السبيل لإحباط المؤامرات، مؤسسة السحاب، ديسمبر٢٠٠٧ م،ص١٢ .

(١٤) الزبير الغزي (جمع وترتيب)، الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي،ط ١، ٢٠١٥م، ص١٧٨١ .

(١٥) صرح بهذا بن لادن لناصر الوحيشي أمير فرع التنظيم في اليمن في أحد رسائله، انظر: وثائق أبوت أباد، وثيقة: SOCOM -٢٠١٢-١٦٠٠٠٠٠، ٢٠١٥ م، ص ١٠٨ .



الثانية: المشاركة في الاقتتالات الداخلية بين الفصائل المقاتلة. وقع هذا في أفغانستان عندما كانت الحرب مشتعلة بين حركة طالبان وتحالف الشمال نهاية التسعينيات، ونستطيع أن نلخص المشهد وقتها على النحو التالي:

١: رأي طالبان في تحالف الشمال "لم تكفرهم بل كانت تعتبرهم بغاة".

٢: رأي الملا عمر في أحمد شاه مسعود القائد العسكري لتحالف الشمال: "نحترم مسعود، [١٦] وقد كنا مجاهدين معاً".

٣: رأي الملا ضعيف[١٧]: "صحيح أن أطرافاً خارجية كانت تدعم الطرفين وتمولهما، وتغذّي الصراع الداخلي، لكن استمرار الحرب كان فعلياً بسبب الأفراد الذين انخرطوا فيها".

٤: قرار طالبان بخصوص اشتراك القاعدة في القتال: "أنتم ضيوف خليكم بعيدين عن القتال، وتحت إصرار بعض الأخوة المجاهدين سمحت لهم طالبان بالقتال إلى صفوفها ضد الشمال".

٥: موقف الموريتاني مفتي القاعدة من تحالف الشمال: "ضد قتالهم وضد تكفيرهم".

٦: موقف بن لادن من تحالف الشمال: "كان يكفر هؤلاء" . [١٨]

بالانتقال إلى العراق، رفضت غالب الفصائل العسكرية العراقية والهيئات العلمية الداخلية بيعة "دولة العراق الإسلامية" لعدم توفر مقومات الدولة وأسباب أخرى، ونشب بعدها صراعٌ عنيفٌ بين جل الفصائل و"الدولة" [١٩]، وقف بن لادن بقوة مع "الدولة"، ووجه نداءً إلى الظواهري طلب منه فيه: "العمل على حشد الناس وفضح مؤامرات الخصوم عليها بشكل صريح وواضح، أي أن يكون دعمكم للدولة بشكل ظاهر للعيان لا يخفى على أحد" [٢٠]، وطلب منه أيضاً إخراج بيان يغلب عليه: "صورة الصراع بين القاعدة والكفر العالمي المحلي.. مع الإشارة إلى أن التدافع بيننا وبين الجماعات هو فرع لتقاطع مصالحهم مع مصالح الحكام في مجابهة وإفشال دولة العراق الإسلامية" . [٢١]



خاتمة

- إذن فالجهاد العالمي المعاصر ليس طبعة واحدة، ولم يقم على ثوابت وأسس مشتركة، إنما انقسم إلى نموذجين مختلفين، ولكل منهما خصائصه التي تميزه كما مر معنا.

- فدور"جهاد المناصرة" الذي دعا له وطبقه عزام وغيره هو: إمداد الجبهات المشتعلة بالرجال والمساعدات والخبرات، وتسخير هذه العناصر وفق الخطوط العامة لمجاهدي البلاد المضيفة، مع التأكيد على عدم التدخل في الخلافات البينية والسعي في الإصلاح، ومن باب أولى عدم الاستقلال بمشروع سياسي جهادي يتجاوز مجاهدي وقادة الداخل.

- أما "جهاد المهاجرة" فينطلق من فرضية أن هناك تنظيماً يقود الجهاد في العالم (القاعدة في أفغانستان) ولهذا التنظيم إستراتيجية شاملة يطبقها حيثما وجد، بغض النظر عن خطط واختيارات مجاهدي كل ساحة، إضافةً إلى انخراطه بشكل كبير في الاقتتالات الداخلية ومزجها بفتاوى منفردة تحكم على الكثير من الفصائل المخالفة بالخروج من الملة.

---

(١٦) أحمد شاه مسعود: القائد العسكري الميداني الأبرز خلال حرب السوفييت، وقد كان عزام يدافع عنه ويجله كثيراً انظر: موسوعة الذخائر، المجلد الرابع، ص٨٠٨.

(١٧) الملا عبد السلام ضعيف: أحمد مؤسسي طالبان ووزيرها المقرب من الملا عمر، وسفيرها في باكستان.

(١٨) جميع الاقتباسات مأخوذة من برنامج لقاء اليوم على قناة الجزيرة مع أبي حفص الموريتاني، للمزيد: أبو حفص الموريتاني هجمات سبتمبر ج 2، باستثناء النقطة الثانية والثالثة فهي من كتاب حياتي مع طالبان للملا عبد السلام ضعيف، وهو أحد مؤسسي طالبان ووزير وسفير طالبان في باكستان، للمزيد: عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، ط١، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٤م)، ص ١٨٤- ١٨٢ .

(١٩) للمزيد: كرم الحفيان، تنظيم القاعدة من أحداث سبتمبر إلى الربيع العربي، (اسطنبول: المعهد المصري، ١٨ سبتمبر ٢٠١٨ م)، ص ٢٨ (إعلان دولة العراق الإسلامية). (٢٠) وثائق أبوت أباد، رسالة من بن لادن للظواهري، ص ٩٥٦ . (٢١) المصدر السابق، ص ٩٦٤ .

دليل للعمل

(مترجم من دليل الجيش الأميركي لمكافحة التمرد)



التقييم أثناء التخطيط: تحليل أداء المهمة

تعرف على السكان، والطبوغرافية، والاقتصاد، والتاريخ، والدين، والثقافة في منطقة العمليات. واعرف كل قرية، وطريق، وحقل، ومجموعة سكانية، وزعيم قبلي، ومجموعة سكانية، وعلى الشكاوى والمظالم القديمة. وكن خبيراً بتلك الأمور. فإذا كانت وجهتك الدقيقة غير معروفة، فادرس المنطقة بشكل عام. وركز على وجهتك المقصودة عندما يتم تحديدها.

وتأكد من استخدام القادة وهيئة الأركان للشبكة السرية لبروتوكول الإنترنت (شبكة سرية تستخدمها وزارة الدفاع الأمريكية لنقل المعلومات السرية عبر النقل على شبكة مؤمنّة) كي يغمروا أنفسهم فعلياً في منطقة العمليات التي تنتشر فيها الوحدة. وتفهم العوامل الرئيسية في المناطق المجاورة لمسرح العمليات، وبيئة المعلومات التي يمكن أن تؤثر على مناطق العمليات. قد تبدو هذه الأمور كثيرة وثقيلة، خاصة عندما يعتمد المتمردون على مظالم عالمية.

- **اقرأ الخريطة كما تقرأ كتاباً.** وادرسها كل ليلة قبل النوم، وأعد رسمها من الذاكرة كل صباح. افعل ذلك حتى تصبح عادة لديك. وطور نموذجاً ذهنياً لمنطقة العمليات. واستخدمه كإطار تضع فيه كل معلومة جديدة.

-**ادرس ملاحظات التسلم والتسليم من أسلافك .** ومن الأفضل أن تتواصل مع أفراد الوحدة الموجودة في الميدان، وخذ منهم النصح والمعلومات. ففي العالم المثالي، يقدم ضباط الاستخبارات وخبراء المنطقة تقارير معلومات "موجزة". وربما لا يحدث ذلك. وحتى إن حدث، فلا يوجد بديل عن المهارة الشخصية.

-الأمر يتطلب أن يقوم كل قائد مرؤوس بما في ذلك ضـباط الصف، بالتخصص في بعض الجوانب بمنطقة العمليات، وإطلاع الآخرين على ما وصل له.

تحليل المشكلة

-**معرفة منطقة العمليات توفر الأساس لتحليل المشكلة.** من هم المتمردون؟ ما الذي يحثهم على التمرد؟ ما الذي يجعل القادة المحليين يتخذون هذا السلوك أو ذاك؟. فالتمرد هو في الأساس تنافس بين العديد من المجموعات. ويسعى كل منها إلى تعبئة السكان لدعم جدول أعماله. ولذلك، فإن عمليات مكافحة التمرد دائماً ما يكون لها أكثر من جانبين.

-**تفهم ما يحفز الناس وكيفية تعبئتهم.** فمـعرفة أسـباب وكيـفية حـصول المتمردين على الأتباع أمر أساسي. وهذا يتطلب معرفة العدو الحقيقي، وليس العدو الوهمي. فالمتمردون قادرون على التكيف، وواسعو الحيلة، وهم على الأرجح من المنطقة، ويعرفهم السكان المحليون منذ كانوا صغار السن. بينما تُعتبر قوات الولايات المتحدة دخيلة وغريبة . كما أن أسوأ الخصوم ليسوا الإرهابيين المختلين نفسياً الذين يظهرون في الأفلام السينمائية، بل على الأرجح، هم مقاتلون كاريزميون سيتفوقون في العمل عند ضمهم الى أي قوات مسلحة. وليس بالضرورة أن يكون المتمردون مخدوعين أو سذج. فقد يعود الكثير من نجاحهم إلى السياسات الحكومية السيئة أو قوات الأمن التي ينفر منها السكان المحليون.

- اعمل على حل المشكلة بشكل جماعي مع قادتك المرؤوسين. وناقش الأفكار واستكشف الحلول الممكنة. وبمجرد فهم القادة للموقف، حاول التوصل إلى إجماع بخصوص كيفية معالجته. وإذا كان هذا يبدو غير عسكري، فتجاوزه. وتساعد هذه المناقشات المرؤوسين على فهم غرض القائد.

وبمجرد التواجد في مسرح العمليات، سوف تبرز المواقف والأوضاع التي تتطلب عملاً مباشراً لتنفيذ الأوامر بسرعة. وسيحتاج المرؤوسون إلى المبادرة، والتصرف على أساس غرض القائد عبر المعرفة التي طوروها. وسيتعين على العرفاء والجنود اتخاذ قرارات سريعة قد تنتج عنها أعمال ذات عواقب استراتيجية. وتتطلب تلك الظروف تفهما مشتركا للموقف. كما تتطلب أيضا مناخاً قيادياً يشجع المرؤوسين على تقييم الموقف، والتصرف على ضوئه، وتقبل المسئولية عن تصرفاتهم.



الإعداد

- الإعداد هو الأنشطة التي تقوم بها الوحدة قبل تنفيذ المهمة لتحسين قدرتها على إجراء العملية، وتتضمن على سبيل المثال لا الحصر العناصر التالية: تنقيح الخطة، وإجراء التمارين، والاستطلاع، والتنسيق، والتفتيش، والتحرك. وبالمقارنة مع العمليات التقليدية، نجد أن الاستعداد لعمليات مكافحة التمرد يتطلب مزيداً من التركيز على تنظيم الاستخبارات، والعمل مع الهيئات غير العسكرية. كما تتطلب هذه العمليات أيضاً المزيد من التشديد على إعداد قادة الوحدات الصغرى لتحمل المزيد من المسؤولية، والاحتفاظ بالمرونة.

تنظيم عمل الاستخبارات

-غالباً ما تكمل الاستخبارات والعمليات بعضهما البعض، وبالأخص في عمليات مكافحة التمرد. فعمليات مكافحة التمرد تُقاد بواسطة الاستخبارات، وغالباً ما تطور الوحدات الاستخبارات الخاصة. ويجب على القادة تنظيم مواردهم للقيام ذلك.

- ربما تحتاج كل سرية إلى قسم للاستخبارات، يتألف من محللين وفرد يتم تعيينه كضابط ركن استخبارات. وقد يتعين على قادة الفصائل أيضاً تعيين أفراد لأداء وظائف الاستخبارات والعمليات. ومن الضروري أيضاً توفر عنصر الاستطلاع والمراقبة. وتوفير هذه المناصب وتشكيلها لا يكون متاحاً عادة، ولكن لا يزال من الضروري للسرايا أداء هذه المهام.

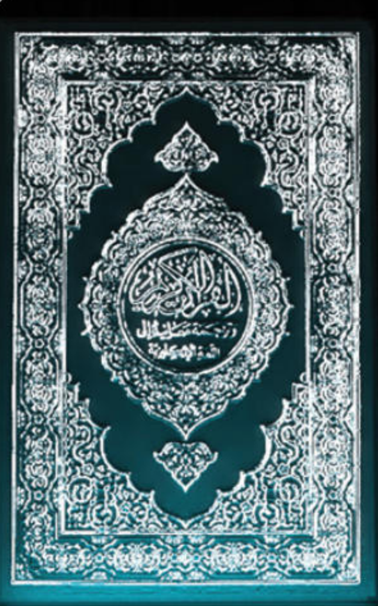


ضع أذكى الجنود أو عناصر مشاة البحرية في قسم الاستخبارات وضمن عنصر الاستطلاع والمراقبة. فهذا التكليف لن يؤدي إلى خفض السرية المقاتلة بأكثر من فرد واحد، ولكن الفائدة التي تُجنى من قسم الاستخبارات والمتمثلة في حفظ الأرواح والمجهود تفوق النتائج المتوخاة .

-لا يوجد عادة عدد كاف من المتخصصين اللغوين. ويدرس القادة بعناية أفضل الطرق لاستخدامهم. ويمثل أصحاب الكفاءات اللغوية أصولاً رابحة في المعركة، ولكنهم كأي مورد نادر آخر، يجب أن يستخدمهم القادة بعناية. وقد يتمثل أفضل استخدام قبل الانتشار لمن يتقنون اللغة الأجنبية في تعليمهم الجنود ومشاة البحرية المهارات اللغوية الأساسية.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)





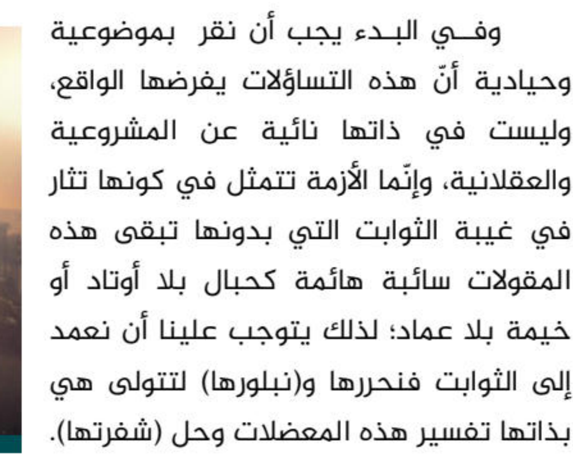
الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

هل هي حقًّاً معضلة؟ أم إنَّ الإعضال كسب أيدينا وثمرة أقوالنا وأفعالنا ومواقفنا؟ لقد حار الخلق واضطربت تقديراتهم في الترجيح بين إبقاء الاستبداد وبين إفناء العباد، في الموازنة بين إمضاء الجهاد وبين الإبقاء على أرواح العباد، فشرقوا وغربوا وأسرفوا في الذهاب عبر أودية موحشة وقفار مهلكة، حتى كفَّرَ الغادي منهم الرائح، وسَفَّه الذاهب منهم الآيب، وغدا الكل متربصاً بالكل وقاعداً لهم بكل سبيل!!

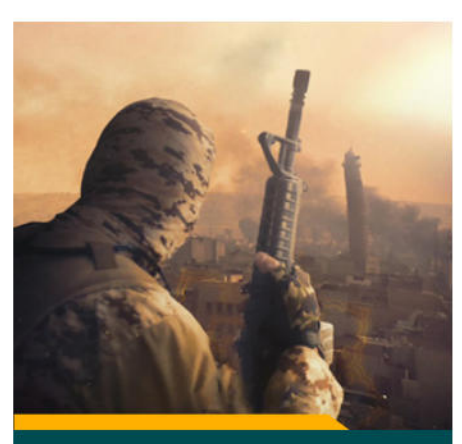
ولا أحسب الانسياق مع هذه التدافعات والانصياع لهذه التجاذبات إلا وقوعاً في فخ كبير خطير؛ فإنَّه لخطورته ووعورته ليشغل الواقعين في شَرَكِه عن الخلاص والفكاك بمزيد من التدافع والارتباك؛ لذا يتوجب علينا أن يكون سبيلنا معه كسبيل هؤلاء الذين (إذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كراماً) الذين (إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين).

"إنَّنا يا قومنا نحسن لفّ العصائب على أعيننا والسلاسل حول أرجلنا؛ لنعجز عن الرؤية والحركة معاً، وكأننا بذلك ننشد الراحة ونلوذ بأحضان اليأس والقنوط، ونلتمس العزاء في اقتيات هذه المهاترات: الاستبداد أم الإرهاب؟ الجهاد أم حفظ أرواح العباد؟ الشريعة أم الحرية؟ الاستقرار أم الثورة والتغيير؟ مصلحة الدعوة أم مصلحة الدولة؟ وحول هذه الأكواخ الكلامية الكئيبة تنبت تساؤلات كفسائل الصبار في خصوبة مظهرها وعقم مخبرها، مِنْ مِثْل هذه: أين نحن من عهد ما قبل الربيع العربيّ؟ ألم نكن نعيش في أمن ولو بشيء من ضيق العيش؟ ونمارس الدعوة ولو بقدر من التضييق والتنغيص؟ أين نحن الآن مما كنا فيه، وأين منَّا أياماً لم نعد نحلم بمثل أنكدها وأظلمها؟ ما الذي جناه الناس من الثورات؟"

وعلى شفير هذا الشَرَك الكبير يقف أناس يحملون في حجورهم حجارة يرشقون بها المتلبطين في الأوحال: "ما أفسد الثورة السورية إلا العسكرة والعنف" "ما جنت حماس من مقاومتها إلا الخراب على شعب غزة" "ها هي ليبيا صارت مرتعاً للقوى الأجنبية تتلاعب بفصائل الثورة" "انظروا إلى اليمن السعيد وما حلَّ به" "قارنوا بين العراق في عهد صدام والعراق الآن" "يا ليت لنا يوماً واحداً من أيام مبارك" "كل الحركات الجهادية باءت بالفشل وجرت على الأمة الويلات" "جميع التجارب الإسلامية في ميدان السياسة لم يحالفها التوفيق" وغير ذلك من الجمل والعبارات التي تفوق في تدميرها القنابل والدبابات.



وفي البدء يجب أن نقر بموضوعية وحيادية أنّ هذه التساؤلات يفرضها الواقع، وليست في ذاتها نائية عن المشروعية والعقلانية، وإنّما الأزمة تتمثل في كونها تثار في غيبة الثوابت التي بدونها تبقى هذه المقولات سائبة هائمة كحبال بلا أوتاد أو خيمة بلا عماد؛ لذلك يتوجب علينا أن نعمد إلى الثوابت فنحررها و(نبلورها) لتتولى هي بذاتها تفسير هذه المعضلات وحل (شفرتها).



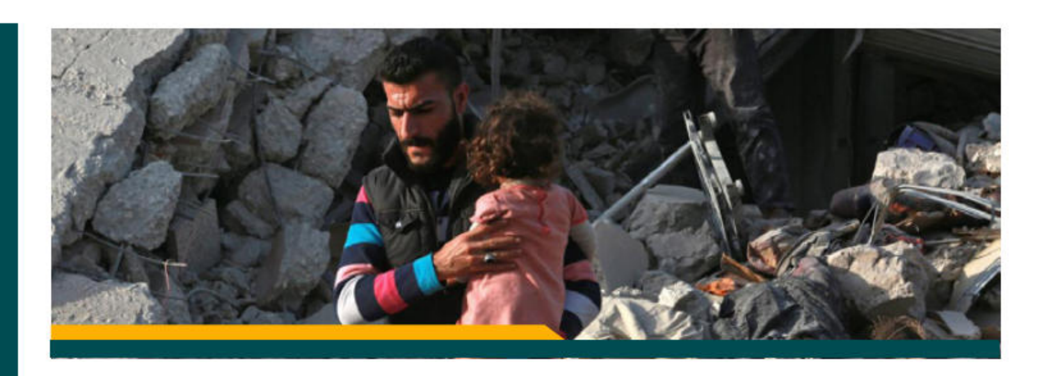
ويأتي على رأس الثوابت هذه الحقيقة التي يقررها الواقع ويشهد لها التاريخ، الحقيقة التي ننساها أو نغفل عنها مع اشتداد الأزمات وتلاحق المصائب، وهي أنَّ هذه الأنظمة التي ثارت عليها الشعوب، والتي لم تكن تمثل شعوبها إلا بقدر ما كان يمثلها مندوبو الاحتلال في دويلات الوطن العربيّ المقسم، والتي ظلت طوال حكمها تقوم بوظيفتها كوكيل عن الاحتلال الأجنبي؛ هذه الأنظمة المجرمة المخربة هي المسئولة عن كل ما جرى وما يجري؛ فلولا ظلمها وقمعها واستبدادها بالأمور واستعبادها للشعوب وممالأتها لكل عدو للأمة ولدينها وعقيدتها ما ثارت الشعوب ولا وقعت تلك المحن والخطوب، ولولا مواجهتها للشعوب الثائرة بالقوة الغاشمة ما خرجت الثورة عن طابعها السلميّ الذي بدأت به ولا انحرفت عنه قيد شعرة، ولولا إيغالها في القتل والتشريد والتعذيب والترهيب ما انحدرت البلاد إلى ما انحدرت إليه، فلا تلوموا إن كنتم منصفين إلا هذه الأنظمة العميلة ومن يقفون وراءها.



لا ننكر أنَّ هنالك قدراً من اللوم كبيراً يوجه إلى فئات ممن ينتسبون للتيار الإسلاميّ؛ لكونهم تفرقوا وتنازعوا؛ مما أفضى إلى تأخر الظفر بالعدو، ومنح الفرصة لجيوب مدخولة من المتطرفين كالدواعش في سوريا والعراق والمداخلة في ليبيا؛ ليكون لها دور في صناعة الأحداث وإرباك المشهد برمته، وقدراً آخر غير قليل يوجه إلى الأحزاب السياسية والجماعات الدعوية لضعف فهمها وقلة وعيها وانخرام منهجيتها في التعامل مع الأنظمة القديمة الساقطة ومن يتحالف معها، وفي التعاطي مع التدافعات السياسية على المستويين الإقليمي والدولي، إضافة إلى بروز حفنة من الشخصيات المتسلقة الطموحة التي رغبت في الوصول على متن الثورة؛ فامتطت ظهرها، ومدت حبالها مع متآمرين في بلاد لا ترقب فينا إلا ولا ذمة.

وَثَمَّ حقيقة ثانية، وهي أنّ عسكرة الثورة في سوريا وليبيا واليمن وغيرها لم تأت عبر قرار ابتدأته الثورة كلياً أو جزئياً، مجانِبَةً به أهلَ الحق أو حائِدَةً به عن الصواب، وإنَّما جاءت كرد فعل للعنف المستمر المتصاعد من قبل الأنظمة، التي بدت أنَّها لن تتراجع حتى تكسر الثورة أو تجعلها تستسلم، ولو أنّ سؤالاً طرحه الناس على أنفسهم، مؤداه: هب أنّ الثورة استمرت في سوريا أو ليبيا مثلاً سلمية فهل كان المنتظر أن يسقط النظام أو يتراجع؟ لكانت الإجابة بنسبة لا تقل عن تسعين بالمائة بالنفي البات، ولو أنّ النظام العسكري الحاكم في مصر لم يكن يخطط لاستيعاب الثورة وامتصاصها لكان ما جرى في سوريا وليبيا هو ذاته ما جرى في مصر، ولاجتاحت الدبابات ميدان التحرير في ساعات قليلة؛ ذلك لأنّ هذه الأنظمة هي الاحتلال ذاته، لكنه في طور مختلف عمّا سبق، فالثورة ضدها في واقع الأمر معركة تحرير، بدأت سلمية وانتهت بالدماء والكوارث، التي اختصت في مصر أهل الحق والدفع وحدهم وعمت في سوريا وليبيا وغيرها أهل الحق والدفع ومعهم كل من يكون ظهيرا لهم من الشعب.

قد يقال: إنّ الأنظمة أطلقت سراح المأسورين من الإسلاميين لتحقق غايتها في عسكرة الثورة؛ لتتخذ من ذلك مبرراً لسحقها، وليس هذا - للإنصاف - ببعيد، ولكنه ليس هو السبب الفاعل لاستمرار النظام في مسلسل الإجرام، كما أنَّ انعدام هذا السبب لم يكن ليمنع النظام من مواصلة الإجرام، وغاية ما هنالك أنَّها محاولة لإيجاد مبرر يحفظ ماء الوجه ويسقط الاتهام على الآخرين، ولو لم يكن هذا المبرر موجودا لخلق من المبررات ما يكفي ويفي، وهذا بذاته لا يجعل الإسلاميين هؤلاء في موضع التهمة، وإن كان الإعلام العالميّ يريد أن يخرج الصورة على هذا النحو، ليصرفنا عن سبيل التحرير الوحيد وهو الجهاد الرشيد، وليصرفنا كذلك عن وضع المؤشر على الداء الذي تمثل في أمرين اثنين لم يكن الجهاد ذاته واحداً منهما، الأول هو تفرق كلمة المجاهدين، والثاني هو ممارستهم للجهاد عبر ردود أفعال مرتجلة وليس عبر مشروع واضح المعالم، يتولى الإشراف عليه كبار الأمة الذين ينسب إليهم جل الكوارث التي حلت بها.



وإنَّها لكارثة إنسانية كبرى لم يشهد التاريخ مثلها حلت على الشعب السوريّ، حيث وقع بيد النظام ما وقع من قتل واغتصاب وتعذيب وتغريب، وهدم لوطن كان يؤوي مواطنيه ويظللهم بدفئه وحنانه، وإنَّها لجريمة كذلك في حق الشعب السوريّ أن يتوارى كثيرون ممن ينتسبون للجهاد خلف راياته وفضائله ليصلوا إلى مآربهم عابرين على الأشلاء أو سابحين في الدماء، لكن هذه الجريمة البشعة لا تنسب إلى الجهاد ولا إلى المجاهدين، وإنَّما تنسب إلى النظام العربيّ الذي هو في الحقيقة حذاء النظام الدولي، ذلك النظام اخترق بماله الذي سرقه من مقدرات الأمة وبترولها، وبأجهزة مخابراته التي ما فتئت تبث الفتن، اخترق جدار العمل الثوري الجهادي بشخصيات ومجموعات صعدت فوق تلال الموتى لتبني أمجاداً، كل هذا جرى في غيبة الكبار وانعدام الرؤية.

وإذا كان هناك وطن تَهَدَّم وحياة في هذا الوطن انصرم أجلها وشعوب أحدق بها الموت وأقوات تبددت ومعايش تبعثرت ومدن وقرى أقفرت من ساكنيها، وغير ذلك مما تبدل حاله وساء مآله؛ فالمسئول عنه هو النظام وحده، فهو الذي عليه وزر هدمه وليس له أجر بنائه، لأنّه قد تبين أنه ما بناه إلا ليهدمه عندما لا يكون على هواه وحسبما يقتضيه مزاجه المتخلف المتعجرف، فنظام الأسد بنى سوريا إن صح أنَّه بناها وما نقول ذلك إلا افتراضا وتنزلا - لتكون مملكة الأسد وليكون من فيها عبيدا له، فلما أرادوا أن يتحرروا هدمها فوق رؤوسهم ولا يبالي، وهكذا صنع القذافي وعلي صالح وصدام، كلٌّ يفعل الشيء ذاته ولكن بأسلوبه وطريقته، وهكذا سيفعل كل طاغية من طغاة العرب ببلده؛ فهل سيتوقف قطار التغيير؟ لن يتوقف حتى ولو شئنا نحن ذلك؛ لأنها سنة الحياة ونظام الكون.



ووراء ما مضى حقيقة هي الثالثة، وهي أنّ مشروع التقسيم مشروع قديم، وخطة إعادة ترتيب المنطقة الإسلامية على أسس عرقية وإثنية موضوعة على مكتب النظام الدوليّ، ولو لم تكن الأحداث الحالية مدخلا لها وذريعة لابتداء التنفيذ لخلقوا هم بأنفسهم المداخل والذرائع، كما فعلوا بالعراق من قبل؛ حيث ورطوها فيما تورطت فيها ليجدوا المبرر للاحتلال المباشر والتقسيم الحتميّ، فأريحوا أنفسكم من جلد الذات والتفتوا لما يجب فعله لمواجهة المخاطر الجسام واللأهوال العظام، فهذا العالم لا يصبر علينا ولا يعطي نفسه هدنة، وإنّه لجاد وإنَّه لمتعجل؛

"فهل نحن منتهون عن هذه الجدليات الفارغة؟! ومنتصبون للمواجهة وماضون في طريقنا؟! أم سنظل نعبث في هذه المتقابلات التي تشبه لعب (الكوتشينة)؟!"

دراويش الثورة المصرية



د. مجدي شلش

تقف الثورة المصرية أمام تحديات كبيرة الآن، منها حالة الدروشة التي أصابت بعض أبنائها الذين اكتفوا لنصرتها بالدعاء فقط والوقوف محلك سر، إن لم يتراجعوا بها للوراء.

"الدعاء عبادة عظيمة لاشك تستمر مع الإنسان في كل أحواله من سعة وضيق وفرح وحزن وصحة ومرض؛ فأحوال المسلم مع الدعاء لا تنقطع إذ هو مظهر من مظاهر الذلة والخضوع والخشية من الله تبارك وتعالى."

قــد يقــع الإنسان فــي حالة من الاضطرار التي تجعله في حالة من الدعاء الدائم والمتكرر حتى يفك الله الكرب عن صاحبه؛ فسبحانه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء والقادر أن يجعلنا خلفاء الأرض. الأمثلة الكثيرة في بركات الذكر والدعاء تشبه الكرامات التي فك الله بها الكرب ونفث الهم ورفع بها الغم ووسع في الرزق للصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا، وهو أمر مشاهد ومعلوم ولا ينكره إلا عليل أو مخبول.

قياس نجاح الأمم وانتصارها على عدوها بالاقتصار على الدعاء بتفريج الكرب عن الأشخاص والأفراد، وضع للشيء في غير محله وصورة من صور الدروشة. نجاح الثورات لاشك يحتاج إلى الدعاء بالليل والنهار لكن الاقتصار عليه وحده وترك التكاليف الشرعية المتعلقة بالأخذ بالأسباب من ثبات وجهاد وتضحية وحركة دائمة في حيز المُكنة والطاقة دروشة غير مقبولة.

أين نحن من قوله تعالى : "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..." وقوله تعالى: "... إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ..." وقوله : "...إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

سيرة المصطفى صلــى الله عليــه وسلــم مشحونة بالكفاح والجهاد والذكر والاستغفار ومواجهة العدو بكل ما استطاع من قوة وأدوات.

حالة دروشة ظهرت على بعض الثوار يكتب الآن ويقول للثورة رب يحميها كما قال عبدالمطلب عندما جاء أبرهة لهدم الكعبة للبيت رب يحميه، وكأننا لسنا متعبدين بشرع جاء بعد عبدالمطلب.

" الكلام في النصر والتمكين كسنة من سنن الله عز وجل بعد الظلم والفساد والاستبداد، دون الكلام في تفاصيل كيفية التمكين والدندنة المستمرة حول أسباب النصر ووضع التصورات والخطط التي تتجاوب مع سنة الله في الاستخلاف والظهور على الأعداء، مظهر من مظاهر الدروشة. "

الاستدلال ببعض صور النصر والتمكين في شرع من قبلنا وإهمال ما شرعه الله لنا؛ كالاستدلال بأصحاب الأخدود الذين ثبتوا على دينهم حتى الشهادة في سبيل الله، صورة من صور الدروشة.

التكليف في شرعنا بإقامة الأمة والدولة، فما يصح في زمان من صور النصر والتمكين قد لا يصح في زمن آخر.

لعل من أكثر صور الدروشة اعتماد بعض الثوار على المنامات والرؤى في النصر والتمكين، حيث فلان الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بالنصر وقربه والتمكين وحلوله والاستخلاف وموعده، فيصبح الناس على أحلام .

أدهشني أن أخاً عالماً ونحن في عز الحراك الثوري عام5102م ألف كتاباً من مجلدين في تفسير الأحلام، وكلما التقينا أكثر من الكلام على الرؤى والأحلام وكأنها من مصادر الأحكام الشرعية.

الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد عام **٣ هجرية** رأى رؤيا عجيبة، فسرت بأن أحدا من أقاربه المقربين سيقتل ولم يعتمد عليها في شيء، ورؤى الأنبياء حق.

المجهود الـذي بـذله الأخ الكريم فـي كتابة مجلدين في تفسير الأحلام، كان من الأولى به أن يضع رؤية للخروج من الأزمة وكسر الانقلاب وعودة الشرعية.

الدروشة الآن على قدم وساق؛ إذ البعض ينتظر المهدي المنتظر لحل المشكلات ورافعاً للرايات ومنتصراً على الأعداء.

لا أنكر فضل المنامات الطيبة، لكن لا أجعل منها السبيل الوحيد أو الأول للنصر، أعظم ما فيها الاستئناس للثوار، أما الصراع وإدارته فله قوانينه الشرعية والعقلية والإدارية والسياسية والإعلامية.

أما المهدي المنتظر فوجوده معلوم لكن حتمية ظهوره الآن غير معلومة، والأصل أننا متعبدون بدين وشرع وقد كلفنا بقوله تعالى: "انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون".

الصورة الصحيحة هي التي تجمع بين الدعاء المتواصل والعمل الدؤوب والصبر والمصابرة والمرابطة، حتى يأتي النصر الموعود الذي يناسب زماننا في قوله تعالى: "عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون"، وقوله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا..." .

نعم نستفيد من كل صور النصر الجزئية ونتعلم منها العبرة والعظة لكنها ليست الصورة الشاملة التي أرادها الله لنا.

دليل ذلك صورة خباب بن الأرت رضي الله عنه إذ جاء للرسول صلى الله عليه وسلم طالباً الدعاء بالنصر والتمكين، وأن يرفع الله عنهم العذاب الأليم الواقع بهم، فأخبره الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بطبيعة الدعوة وأنها منصورة حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه.

لم يقتصر المصطفى صلى الله عليه وسلم على ذكر صور العذاب فقط كمن يستشهد بقصة أصحاب الأخدود وحدها فقط، وإنما بين له أن النصر في أمتنا أكبر صورة وأعظم حالاً من نصر أصحاب الأخدود.

ولعل في قصة الخندق وتجمع الأحزاب حول المدينة وتكسير الرسول صلى الله عليه وسلم للصخرة التي عرضت للمسلمين في حفر الخندق وبشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح فارس والشام واليمن، دلالة على أنها صورة النصر التي يجب أن نعمل لها بالتمكين لدين الله في الأرض ونُري فرعون وهامان وقارون منا البأس الشديد والعذاب الأليم.

" قد نخطئ حين نجعل صورة النصر واحدة وإنما هي متنوعة وقد نخطئ أيضاً بالاستدلال بصورة من قبلنا المحدودة و نعممها على كل عصر، لكن الصحيح أن لكل عصر صورة النصر والتمكين التي تناسبه وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين. "



"الحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا"، هكذا كان يرى الشيخ محمد الغزالي كارثة الاستبداد وآثارها في الدين والدنيا؛ حيث كرس حياته نصفها الأول لمحاربة هذا الاستبداد من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الاستبداد هادم للحضارات، ومقوض للعمران، وطارد للكفاءات، ومعطل للطاقات، ومهدر للموارد؛ ولهذا استحقت محاربته أن تكون ضمن إرادة بناء حضارة وقيام أمة.

ولهذا يؤكد الشيخ أن (الاستبداد السياسي ... ليس عصيانا جزئيا لتعاليم الإسلام، وليس إماتة لشرائع فرعية فيه، بل هو إفلات من ربقته ودمار على عقيدته)[١]؛ وذلك لأن (الحكام المستبدين كالحشرات القذرة، لا تعيش أبدا فى جو نظيف، ولا تنصب شباكها للصيد والنهب إلا حيث الغفلة السائدة والجهالة القاتمة)[٢]. قال: (ونحب أن نقول بجلاء: إنه حيث يسود الحكم المطلق تنتقض الإنسانية من أطرافها، بل من صميمها)[٣].

---

(١) الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية: ٥٧. دار نهضة مصر.
(٢) الإسلام والاستبداد السياسي: ٨٣ . دار نهضة مصر.
(٣) من مقالات الشيخ الغزالي: ١/٦٧.

وفي مواجهة الاستبداد المالي والمظالم الاجتماعية، خاض رحمه الله أوّل معاركه الفكرية، فأصدر عدّة مؤلّفات كانت لبنة في مشروعه الحضاري : **"الإسلام والأوضاع الاقتصادية"** ، **"الإسلام والمناهج الاشتراكية"**، **"الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين"**، **"الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر"**، إذ قدّم فيها فكرًا ثوريًا بامتياز.

كيف لا ؟ وهو الذي قال: (حيث يكون العسف والخسف لابد أن يكون الإسلام دينا ثائرا يطلب النصفة والرحمة. حيث يكون الاستعلاء والاستعباد لابد أن يكون المسلمون ثوارا ينشدون العزة والكرامة. وقد تكون عقبى الجهاد موتا في غربة، أو قتلا في معركة، والثائرون ضد الباطل أدنى الناس إلى البلاءِ والعطب. وماذا في هذا؟ إن ما يحذره غيرهم هو الذي ينشدون لأنفسهم! وتلك طبيعة الثائرين، إما أن يحيوا كما يريدون، أو يموتوا كما يريدون.إنهم عزيمة تؤثر في الحياة سلبا وإيجابا، وليسوا عربات تشد إلى جياد الآخرين) (٤).

ويعتبر كتابه **" الإسلام والاستبداد السياسي"** علامة فارقة في هذا المسار الذي كان اسمه سببا لأن يكون الشيخ "بغيضا إلى الجهة الحاكمة"، وحكى الشيخ الغزالي عن هذا الكتاب بقوله: (أشهر كتبي عندما هاجمت فيه الطغيان وفساد الحكم وأسميته (الإسلام والاستبداد السياسي) وكان ذلك في أواخر الأربعينيات، وكان هذا اليوم من أهم أيام حياتي وأعتبره نقطة انطلاق لي... بمجرد أن نزل الكتاب إلى الأسواق فوجئت بالحكومة كلها تهتز وتصدر قرارا بمصادرة الكتاب، وأحسست أن القصر الملكي اهتز بشدة من هذا الكتاب وقبض عليّ وقدمت للمحاكمة بتهمة مهاجمة الحكومة، وخرجت من هذه القضية بدون أن يثبت علي شيء) (٥).



(٤) حصاد الغرور: ١٥٤. دار نهضة مصر.
(٥) الإسلام والاستبداد السياسي: ٨ . دار نهضة مصر.

بل إننا إذا أردنا أن نتأمل في المكتبة الإسلامية والكتابات عن الاستبداد فيها لا تخطئنا محطتان فارقتان، وكتابان رئيسان، ومصدران أساسيان، هما: **(طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)** لعبد الرحمن الكواكبي، وكتاب: **(الإسلام والاستبداد السياسي) لمحمد الغزالي.**

كان الإمام الشيخ الغزالي يرى في الاستبداد عدوا للتقدم والحضارة، وكان يردد دائما: لا حرية حيث يكون هناك استبداد سياسي، لا دين حيث يكون هناك استبداد سياسي، لا حضارة حيث يكون هناك استبداد سياسي.

وكان يقول إن "الحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا. وهو دخان مشئوم الظل تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد، فلا سوق الفضائل والآداب تنشط، ولا سوق الزراعة والصناعة تروج"[٦].



حتى إن الشيخ في تعامله مع القرآن كان مهموما بالبحث في هذا الموضوع، متأملا القرآن ومتدبرا له في هذا الإطار ضمن الأطر التي كان يهتم بها في تعامله مع القرآن الكريم؛ حيث تمتع الشيخ بنظرته الأصيلة، وقراءته الكلية للقرآن الكريم، قال: (تلوت سورة القصص، وربطت آخرها بأولها، فرأيت أن الله سبحانه شرح أحوال الاستبداد السياسى والطغيان الاقتصادى فى قصتى فرعون وقارون ثم ساق هذا القانون الحضارى الصارم (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين). إنه بعد عشر صفحات من السرد التاريخى الحافل قرر هذه الخلاصة أن الاستعلاء والفساد يستحيل أن يأتيا بخير، كل فرد مزهو بنفسه فوضوى فى سلوكه سائب فى إدارته ظالم لغيره ناسٍ لربه لابد أن يجنى الويل من هذه الخلال)[٧].

"بل إن قوعد الإيمان ومعاقد الشريعة ومكارم الأخلاق لا يمكن أن يقدم عليها مسلم في ظل استبداد وظلم وخسف يفضي بالناس إلى التجويع والمرض والجهل والخراب العمراني والاقتصادي، يقول الشيخ: (لقد رأيتُ بعد تجارب عدّة أنّني لا أستطيع أن أجد بين الطبقات البائسة الجوّ الملائم لغرس العقائد العظيمة والأعمال الصّالحة والأخلاق الفاضلة، إنّه من العسير جدًّا أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التّقوى إذا كان بدنه عاريا ولابدّ من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشّامل إذا كنّا مخلصين حقًّا في محاربة المعاصي والرّذائل والمعاصي باسم الدّين أو راغبين حقًّا في هداية النّاس لربّ العالمين) [٨]. "

وكـــي تعتدل الكفـــة ويستقيم الميزان فإن الشيخ لم يكتفِ بمحاربة الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي المفضيين للتخلف الحضاري، وإنما تحدث عن الحرية والشورى، وحق الأمة في اختيار من يحكمها ويسوسها، وأنها هي مصدر السلطة، **يقول:** (الأمة مصدر السلطة، هي وحدها التي تختار حكامها، وهي التي إذا شاءت عزلتهم، وليس لأحد حق إلهي، ولا وصاية عليا على الناس، تجعل وجوده السياسي ضربة لازب، أو تجعل انقياد الجماهير له فريضة محكمة. إذا كانت لشيء ما مكانة دينية فهو الرأي العام الإسلامي، الذي إذا أحب كانت محبته آية على رضوان الله، وإذا كره كانت كراهيته آية على سخطه) [٩].



"حتى إن الشيخ جعل للأمة الحق في ألا تسمع ولا تطيع حين يتناقض نصب الحاكم مع وظائفه، وهذا من صميم الحرية الجماعية، وتفعيل لأعلى مستوياتها، **يقول:** (والأمة في حل من السمع والطاعة بداهة إذا حكمت على أساس من جحد الفرائض، وإقرار المحرمات ونهب الحقوق وإجابة الشهوات؛ لأن معنى ذلك أن الحكم قد مرق من الإسلام، وفسق عن أمر الله، وأن الحاكمين أنفسهم قد انسلخوا عن الدين، فليس لهم على أحد عهد!!) [١٠].

بل جعل الشيخ الخطوة الأولى في بناء الحياة السياسية، متمثلة في طريقة اختيار الحاكم وكيفيتها، **قال:** (ونحن نلحظ ـ دون كد ـ جرثومة خبيثة تفتك بالسياسة الإسلامية، وتدع فراغا سيئا بين الأمة والدولة، تلك هي طريقة اختيار الحاكم الذي يلي الأمور، ويقود الأمة إلى ما لا تعرف وتقر من أهداف، ونحن نريد استئصال هذه الجرثومة لا تركها، والتغلب على ما تنشئ من علل وأوجاع) [١١].

حتى في حرية الرأي والاجتهاد بضوابطه يرى أن هذا من مقومات بناء حضارة علمية ثقافية إنسانية، **يقول:** (فى أوج الحضارة الإسلامية كانت حرية الرأى مكفولة إلى حد بعيد، وكان البحث عن الحقيقة وتعرف وجه الصواب، ميسورا لكل من واتته الوسائل الصحيحة. وحيث لم يوجد فى مسألة علمية نص يعلو على الشبهة، ويثبت أمام التأويل، فإن المجال رحيب أمام عقول الرجال. أجل، حيث تتكاثر الأدلة، وتتلون أساليب الفهم فى حدود قواعد اللغة وتختلف الأنظار، ويختلف وزن المصلحة العامة، ويتسع الأفق، أو يضيق أمام مبتغى الحق، الساعى لكشف النقاب عنه، ففى الأمر مندوحة، ولا حرج على المسلم أن يعتنق أى مذهب، ويجنح إلى أى رأى) [١٢].

" إن الشيخ الإمام محمد الغزالـــي يستحـــق أن تُرصد جهوده العلمية ومواقفه العملية عن الاستبداد وآثاره، وفي الحديث عن الحرية والشورى، وعن حق الأمة في الحياة الحرة الكريمة، واختيارها لمن يحكمها ليحرس دينها ويسوس حياتها به .. هذا الجانب يستحق الإبراز والبحث والدراسة عند الشيخ فيما أنتجه من علم، وفيما وقفه من مواقف، وخاضه من معارك، وبيان أهمية ذلك وانعكاساته على واقعنا المعاصر. "

---

(٦) الإسلام والطاقات المعطلة: ٤٠ . دار نهضة مصر.

(٧) الطريق من هنا: ١٦ . دار نهضة مصر.

(٨) الإسلام والأوضاع الاقتصادية: ٤٣ . دار نهضة مصر.

(٩) معركة المصحف في العالم الإسلامي: ١٣٦ . دار نهضة مصر.

(١٠) الإسلام والاستبداد السياسي: ١٦٣ .

(١١) معركة المصحف في العالم الإسلامي: ٩١ .

(١٢) الإسلام المفترى عليه: ١٤٧ . دار نهضة مصر.

الأمر في القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس



فضيلة الشيخ
أحمد محمد شاكر رحمه الله [١]
محدث الديار المصرية ونائب رئيس المحكمة الشرعية العليا

قال رحمه الله[٢]:

"أقول: أفيجوز -مع هذا- في شرع الله أن يُحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس من تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة؟ بل بتشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة، ويبدلونه كما يشاءون، لا يبالي واضعه أوافق شِرعة الإسلام أم خالفها؟

إن المسلمين لم يُبْلوا بهذا قط -فيما نعلم من تاريخهم- إلا في ذلك العهد، عهد التتار، وكان من أسوأ عهود الظلمة والظلام، ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له، بل غلب الإسلام التتار ثم مزجهم فأدخلهم في شرعته، وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم، وبأن هذا الحكم السيئ الجائر كان مصدره الفريق الحاكم إذ ذاك، لم يندمج من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة، ولم يتعلموه ولم يعلموه أبناءهم، فما أسرع ما زال أثره.

(١) ولد الشيخ رحمه الله عام ١٨٩٢ م، وأبوه هو الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الأزهر، وقاضي قضاة السودان. حصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام ١٩١٧ م، واشتغل بالتدريس فترة قصيرة، ثم عمل بالقضاء، حتى اختير نائباً لرئيس المحكمة الشرعية العليا، انتهت إليه إمامة الحديث في مصر. توفي عام ١٩٥٨ م تاركاً ما يزيد عن خمسين مصنفاً.

(٢) "عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير" مختصر تفسير القرآن العظيم، للشيخ أحمد شاكر (١/٦٩٦، ٦٩٧) دار الوفاء، الطبعة الثانية.



أفرأيتم هـذا الوصف القـوي من الحـافـظ ابـن كـثـير فـي الـقـرن الـثـامـن لـذلـك القانـون الوضـعي، الـذي صنـعه عـدو الإسلام جنكيز خان؟ ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا العصر، في القرن الرابع عشر؟ إلا في فرق واحد، أشرنا إليه آنفاً أن ذلك كان في طبقة خاصة من الحكام، أتى عليها الزمان سريعاً فاندمجت في الأمـة الإسلاميـــة، وزال أثر مـــا صنعت، ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلماً منهم، لأن أكثر الأمم الإسلامية الآن تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة والتي هي أشبه شيء بذلك "الياسق"[٣] الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر، هذه القوانين التي يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء ثم يجعلون مردّ أمرهم إلى معتنقي هذا "الياسق العصري" ويحقرون من يخالفهم في ذلك، ويسمون من يدعوهم إلى الاستمساك بدينهم وشريعتهم "رجعياً" و"جامداً"!! إلى مثل ذلك من الألفاظ البذيئة، بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقى في الحكم من التشريع الإسلامي، يريدون تحويله إلى "ياسقهم الجديد" بالهُوَينا واللين تارة، وبالمكر والخديعة تارة، وبما ملكت أيديهم من السلطات تارات، ويصرحون - ولايستحيون- بأنهم يعملون على فصل الدولة عن الدين!!

...إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كـفر بواح، لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد مما ينتسب للإسلام -كائناً من كان- في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه، ألا فليصدع العلماء بالحق غير هيابين وليبلغوا ما أمروا بتبليغه غير موانين ولا مقصرين".

(٣) هو دستور دولة "التتار" جمعه قائدهم "جنكيز خان" من شرائع شتى.

وقال رحمه الله في تفسير سورة النساء (٥٩-٦٥)[٤]: " انظروا أيها المسلمون، في جميع البلاد الإسلامية، أو البلاد التي تنتسب إلى الإسلام في أقطار الأرض- إلى ما صنع بكم أعداؤكم المبشرون والمستعمرون، إذ ضربوا على المسلمين قوانين ضالة مدمرة للأخلاق والآداب والأديان، قوانين إفرنجية وثنية، لم تُبنَ على شريعة ولا دين..

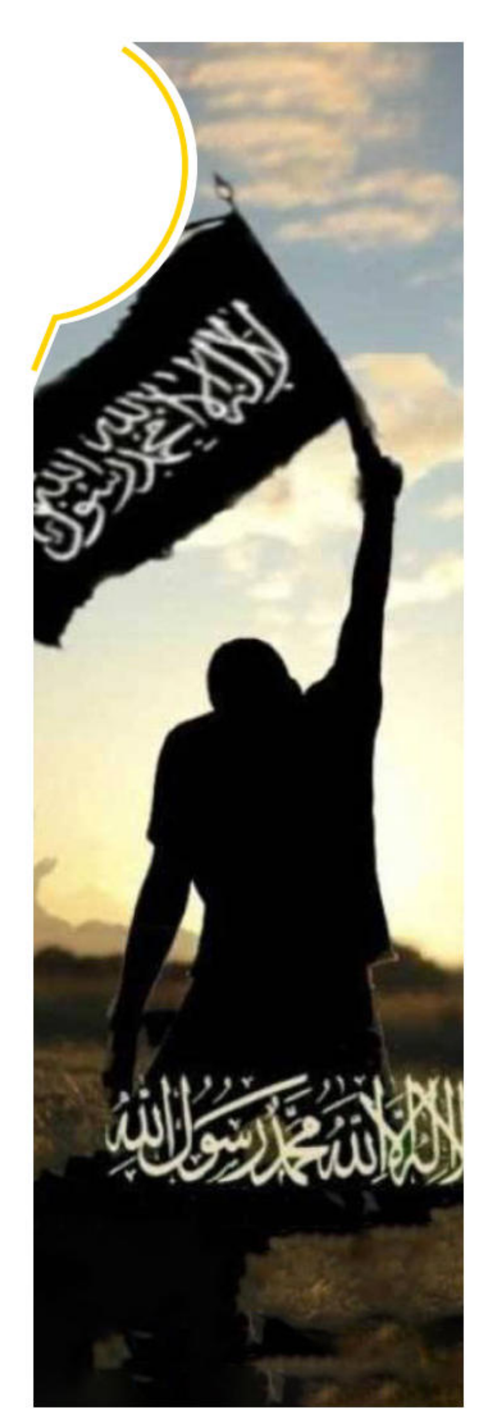
هذه القوانين التي فرضها على المسلمين أعداء الإسلام السافرو العداوة، هي في حقيقتها دين آخر جعلوه ديناً للمسلمين بدلاً من دينهم النقي السامي؛ لأنهم أوجبوا عليهم طاعتها وغرسوا في قلوبهم حبها وتقديسها والعصبية لها، حتى لقد تجري على الألسنة والأقلام كثيراً كلمات "تقديس القانون"، "قدسية القانون"، "حرمة المحكمة"، وأمثال ذلك من الكلمات التي يأبون أن توصف بها الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء الإسلاميين، بل حينئذ يصفونها بكلمات الرجعية والجمود والكهنوت وشريعة الغاب، إلى أمثال ما ترى من المنكرات في الصحف والمجلات والكتب العصرية...

ثم صاروا يطلقون على هذه القوانين ودراستها كلمة "الفقه" و"الفقيه" و"التشريع" "والمشرع"، وما إلى ذلك من الكلمات التي يطلقها علماء الإسلام على الشريعة وعلمائها.

وينحدرون فيتجرؤون على الموازنة بين دين الإسلام وشريعته وبين دينهم المفترَى الجديد!!

---

(٤) المصدر السابق (١/٥٣٤،٥٣٥).



ثم نفوا شريعتهم الإسلامية عن كل شيء، وصرح كثير منهم في كثير من أحكامها القطعية الثبوت والدلالة بأنها لا تناسب هذا العصر، وأنها شرعت لقوم بدائيين غير متمدينين، فلا تصلح لهذا العصر...

فترى الرجل المنتسب للإسلام، المتمسك به في ظاهر أمره، المُشرَب قلبه هذه القوانين الوثنية يتعصب لها ما لا يتعصب لدينه، بل يجتهد ليتبرأ من العصبية للإسلام خشية أن يُرمى بالجنود والرجعية! ثم هو يصلي كما يصلي المسلمون، ويصوم كما يصوم المسلمون، وقد يحج كما يحج المسلمون، فإذا ما انتصب لإقامة القانون، لبسه شيطان الدين الجديد، فقام له قومة الأسد يحمي عرينه، ونفى عن عقله كل ما عرف من دينه الأصلي! ورأى أن هذه القوانين ألصق بقلبه وأقرب إلى نفسه!

وقد ربى لنا المستعمرون من هذا النوع طبقات، أرضعوهم لِبان هذه القوانين، حتى صار منهم فئات عالية الثقافة، واسعة المعرفة في هذا اللون من الدين الجديد الذي نسخوا به شريعتهم، ونبغت فيهم نوابغ يفخرون بها على رجال القانون في أوربا، فصار للمسلمين من أئمة الكفر ما لم يُبتلَ به الإسلام في أي دور من أدوار الجهل بالدين في بعض العصور".

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم) المائدة:٣٨ [٥]:



"هذا حكم الله في السارق والسارقة، قاطع صريح اللفظ والمعنى، لا يحتمل أي شك في الثبوت ولا في الدلالة، وهذا حكم رسول الله تنفيذاً لحكم الله وطاعة لأمره، في الرجال والنساء: قطع لليد، لا شك فيه، حتى ليقول صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي-: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها"[٦].

فانظروا إلى ما فعل بنا أعداؤنا المبشرون المستعمرون!

لعبوا بديننا، وضربوا علينا قوانين وثنية ملعونة مجرمة، نسخوا بها حكم الله وحكم رسوله، ثم ربوا فينا ناساً ينتسبون إلينا، أشربوهم في قلوبهم بُغض هذا الحكم، ووضعوا على ألسنتهم كلمة الكفر: أن هذا حكم قاسٍ لا يناسب هذا العصر الماجن، عصر المدنية المتهتكة! وجعلوا هذا الحكم موضع سخريتهم وتندرهم! فكان عن هذا أن امتلأت السجون في بلادنا وحدها بمئات الألوف من اللصوص، بما وضعوا في القوانين من عقوبات للسرقة ليست برادعة، ولن تكون أبداً رادعة، ولن تكون أبداً علاجاً لهذا الداء المستشري.

---

(٥) المصدر السابق (٦٧٨،٦٧٧/١).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، مسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.



ثـم أدخـلوا في عقـول الطبـقـة المـثـقـفـة وخاصة القائمـين على هذه القوانـين الوثنية ما يسمونه: "علم النفس"، ولقد جادلت منهم رجالاً كثيراً من أساطينهم، فليس عندهم إلا أن حكم القرآن لا يناسب هذا العصر!! وأن المجرم إن هو إلا مريض يجب علاجه لا عقابه، ثم ينسون قول الله سبحانه في الحكم بعينه: (جزاء بما كسبا نكالاً من الله)، فالله سبحانه وهو خالق الخلق، وهو أعلم بهم وهو العزيز الحكيم- يجعل هذه العقوبة للتنكيل بالسارقين، نصاً قاطعاً، فأين يذهب هؤلاء الناس؟!

هذه المسـألة عنـدنا نحن المسلمـين هي من صمـيم العقـيدة ومـن صمـيم الإيمـان، فهؤلاء المنتسبون للإسلام، المنكرون حد القطع، أو الراغبون عنه سنسألهم: أتؤمنون بالله وأنه خلق هذا الخلق؟ فسيقولون: نعم. أفتؤمنون بأنه يعلم ما كان وما يكون، وبأنه أعلم بخلقه من أنفسهم وبما يصلحهم ويضرهم؟ فسيقولون: نعم. أفتؤمنون بأنه أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه هذا القرآن من لدنه هدى للناس وإصلاحاً في دينهم ودنياهم؟ فسيقولون: نعم. أفتؤمنون بأن هذه الآية بعينها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) من القرآن؟ فسيقولون: نعم. أفتؤمنون بأن شريعة الله تعالى قائمة ملزمة للناس في كل زمان وفي كل مكان، وفي كل حال؟ فسيقولون: نعم. إذن فأنى تصرفون وعلى أي شرع تقومون؟!...

ولو عقل هؤلاء الناس -الذين ينتسبون للإسلام- لعلموا أن بضعة أيدٍ من أيدي السارقين لو قُطعت كل عام لنجت البلاد من سُبة اللصوص، ولما وقعت كل عام إلا بضع سرقات كالشيء النادر، ولخلت السجون من مئات الألوف التي تجعل السجون مدارس حقيقية للتفنن في الجرائم، لو عقلوا لفعلوا، ولكنهم يصرون على باطلهم ليرضى عنهم سادتهم ومعلموهم! وهيهات!! (٧)

(٧) نقلاً عن كتاب: فتاوى كبار علماء الأزهر حول وجوب تحكيم الشريعة وتعظيمها، لمجموعة من العلماء، ط: دار اليسر، القاهرة.

فك الألغام..خطوة نحو تحقيق الوئام

وليد الهويريني فك الله أسره*

* نشر هذا المقال في السبت ١٤ ذو القعدة ١٤٢٨ الموافق ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٧، على موقع الإسلام اليوم.



إن الدعوة للاجتماع والنهي عن الافتراق مطلب شرعي لا يختلف دعاة الإسلام ورجالاته على أهميته وضرورة السعي في تحقيقه؛ فقد استقر في روع العقلاء والنابهين أن التنازع والافتراق مؤذن بذهاب الريح، وآية ربانية تستلزم غياب الإمداد الإلهي في المنازلة القائمة بين أولياء الله وأعدائه، ومن الأهمية بمكان ألاّ يكتفي دعاة الإسلام بالدعوة الحالمة للوحدة والاجتماع دون النزول إلى كافة الميادين لإزالة ألغام عديدة طمرتها السنون، وتسارعت وتيرة الأحداث دون أن يعبرها السائرون في الطريق انتباهاً، وهو الأمر الذي أدى لتفجر هذه الألغام، وبالتالي تحول ذلك الجسد الواحد المقتفي أثر السلف الصالح إلى أشلاء متناثرة على قارعة الطريق، مما ولّد شكوكاً في صدور فئام من الناس حول سلامة الطريق؛ فتحوّلوا إلى غيره. فالحاجة ماسة اليوم لإزالة هذه الألغام للسير نحو تحقيق "وئام" بين رجالات الإسلام العاملين في كافة الميادين.

ثمة عبارات رائعة خلدها التاريخ لأحد أئمتنا الكبار، ورموزنا العظام شاعت بين أوساط الشباب وطلبة العلم، وفي كثير من الأحيان كانت هذه العبارات تعبر عن رأي لهذا الإمام في مسألة ما.. أو تسجل موقفاً في ظرف تاريخي معين، أو ربما كانت معبرة عن اختياره العلمي في مسألة اختلف حولها أئمة السلف، ولكن بمضي الوقت ومع كثرة تردد هذه العبارات على الألسنة بالغ بعض الفضلاء في إيرادها والاحتجاج بها؛ فأصبحت هذه العبارات تُستخدم تارة في غير موضعها، وتارة تتحول لعقيدة سنية لا يجوز مخالفتها، وتارة ثالثة تصبح دبابة يهشم المحتج بها بفهمه الخاطئ أصولاً شرعية جاءت بها دلائل الكتاب والسنة.



رأينا من يحتج بمقولة الإمام البربهاري رحمه الله: (إذا رأيت الرجل جالساً مع رجل من أهل الأهواء، فحذّره وعرّفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى) فتُتّخذ هذه العبارة سيفاً مصلتاً على كل داعية أو مصلح جالس مبتدعاً، وربما وظف ذلك آخرون لتبديع جمهرة من أهل العلم والفضل، فتغدو هذه العبارة ومثيلاتها سبيلاً لشرذمة أهل السنة؛ فمن جالس المبتدع فهو صاحب هوى وبدعة، والحقيقة أن هؤلاء الفضلاء لو تتبعوا وسبروا منهج السلف الصالح لسلموا وسلم منهم إخوانهم من أهل العلم، فمن المتقرر أن حكم مجالسة المبتدع يُعدّ أمراً مصلحياً؛ فمتى ما كان الهجر محققاً للمقصد الشرعي شُرع وإلاّ فلا، وأما عبارة هذا الإمام وغيره من السلف فقد يكون قد أراد بها "ظرفاً زمانياً" كان الهجر فيه محققاً للمقصد الشرعي، وقد يكون أراد بها توجيه العامة ممن لا يملك علماً ولا فقهاً لعدم مجالسة المبتدع خشية التأثر به، وهذا هو الأقرب، ولو افترضنا جدلاً بأن هذه العبارة على ظاهرها، وبأن حكمها في نظر قائلها لا يتغير فتبقى المقولة معبرة عن رأي قائلها واجتهاده.

وقريب من ذلك موقف بعض الشباب من مقولة أحد السلف: "إذا اختلفتم في مسألة فاسألوا أهل الثغور؛ فإن الحق معهم مستدلاً بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)".

فإن هذه العبارة لو قيل بظاهرها كما يفعل بعض الشباب اليوم للزم من ذلك إسباغ العصمة والقداسة على كل من خاض ميدان الجهاد، وهذا تدحضه دلائل الكتاب والسنة، فقد قال ربنا تعالى مبيناً لأخطاء أعظم فرقة جهادية عرفها التاريخ بعد الهزيمة في غزوة أحد (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ) ، قال الإمام الطبري : "قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك (هو من عند أنفسكم) يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وترككم طاعتي لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم.



ومن معين السيرة النبوية نقرأ خبر سيف الله المسلول خالد بن الوليد في قصة بني جذيمة عندما قتل قوماً قالوا: صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم- يديه وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) .

ولهذا فعبارة هـذا الإمـام في رد الأمر إلـى أهل الثغـور لا يُراد بها عموم المسـائل والوقائع، بل قد يُراد تفاصيل الواقع العسكري الذي يعيشه المجاهد، وقد يُراد به تقديم كلام "العلماء" من أهل الثغور أو علماء البلد الذي تقع فيه ساحة القتال على قول غيرهم من أهل البلدان الأخرى، والناظر في شواهد التاريخ يعلم جيداً أن الكثير من أئمة السلف لم يخوضوا ميدان القتال، ومع ذلك فلم يسجل التاريخ حالة تستحق الذكر همش فيها المسلمون أفهام غالبية علماء عصرهم بـحـجـة أن الحق مع أهل الثغور...لاسيما تلك المعارك التي يتجاوز آثارها المحاربين في ساحات القتال إلى عموم الأمة الإسلامية.

ولئن كـان الفهم الخاطئ للعبارة السابقة أفضى إلى تقديس المجاهدين في ساحات القتال فعبارة ابـن عساكر الشهيرة في توقير أهل العلم طالها نفس التحريف، ولكن نحو تقديس العلماء والفقهاء حيث يقول: (لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وأعلم أن من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلب؛ بلاه الله قبل موته بموت القلب).

وعبارة ابن عساكر واضحة جلية في تحريم غيبة أهل العلم؛ فهم ورثة الأنبياء ومصابيح الدجى ومنارات الهدى، ولاشك أن غيبة المسلم من كبائر الذنوب، فكيف بغيبة أفاضلهم وخيارهم، والحرص على توقير العلماء وزجر السفهاء عن التطاول عليهم يُعدّ صمام أمان للأمة من الاضطراب والفتن، وتصدر أهل الأهواء،

ولكن الملاحظ من بعض الفضلاء المبالغة في تضخيم هذه العبارات إلى درجة تقديس بعض أهل العلم دون شعور منهم ورفض أي نقد لآرائهم أو اجتهاداتهم، بل وحتى القول بخلاف اختياراتهم العلمية والفقهية أو منهجهم الفكري والعملي تجاه المستجدات والأحداث، وربما جُعل هذا علامة على الانحراف والزيغ، ولئن كنا وما زلنا نفاخر بالمنهج السلفي الأصيل الذي ينبذ التعصب بكافة أشكاله، حتى إن أحدنا لا يجد غضاضة في أن يختار قولاً فقهياً يخالف فيه ما عليه جماهير الفقهاء وبعض الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأن الدليل في نظره كان من نصيب القائلين بقوله، فلماذا نضيق في واقعنا المعاصر بأن يقول طالب علم بقول له سلف من الأئمة خلاف "السائد"، ونعتبر ذلك منافياً لتوقير العلماء واحترامهم أو قدحاً في منهجهم؟!

إن خزائن تراثنا السلفي الوفير تنوء بعشرات المواقف التي شكل فيها "التنوع الفقهي والفكري" رافداً من روافد نهضتها ورقيها، دون أن يكون معول هدم واضطراب وتشرذم كما قد يتوهم بعض الغيورين والصالحين.



لقد شكل الفهم الخاطئ لبعض مقولات السلف وسيلة فعّالة لزرع ألغام الافتراق والتشرذم في التربة الإسلامية، والسبيل الأمثل لإبطال هذه الألغام يكون بسبر منهج السلف الصالح في موضوع المقالة، وقراءة الظروف التاريخية التي قيلت فيها، مرتكزين في ذلك على دعائم المنهج السلفي والمتمثلة بالقرآن الكريم والسنة والنبوية بفهم السلف الصالح، ومستحضرين دائماً أن الحجة بإجماع السلف لا بقول آحادهم وأفرادهم، وحينها سنكون قد ذلّلنا الطريق لشباب الصحوة للسير قدماً نحو بلورة حالة من الوئام الفكري بين رجالات الإسلام.

الاحتلال بالوكالة

حامد عبد العظيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وبعد:

فإن أخبث ما توصل إليه المحتلون عموماً هو الاحتلال بالوكالة، إذ يجعل مواطني البلاد المحتلة لا يشعرون أنهم محتلون؛ بل يعتقدون أنهم يعيشون في بلاد مستقلة لا وجود للجيوش الأجنبية فيها.

والاحتلال بالوكالة أن توكّل الدولة الاستعمارية فريقاً عميلاً من مواطني البلاد المحتلة ليكون بديلاً لها في حكم البلاد وضمان مصالحها.



والحقيقة أن هذا الأمر صعّب للغاية من الجهود الساعية إلى تحرير البلاد والسعي نحو استقلالها، إذ إن الشعوب من الممكن أن تقاتل من أجل طرد الغزاة الأجانب من بلادهم، لكن أغلبها وفي معظم الظروف لن يجاهد من أجل القضاء على أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا وتعمل وسائل الإعلام على تمجيدهم بالليل والنهار.

والشعوب معذورة في ذلك، فهذا يحتاج درجة عالية من الوعي لا تتوفر لدى كل أحد، هي أشبه بالمنطقة الرمادية التي تُقعد عن الجهاد والمقاومة، بعكس المحتل الغازي الواضح، وهذه نقطة ينبغي للعاملين للإسلام أن يعوها حتى يعذروا أمتهم ويأخذوا بأيديها بالرفق واللين، لا أن يصرح البعض بكفر الشعوب لتواطئها ومهادنتها لحكامها كما تعتقد بعض حركات الغلو.

وإذا أردنا أن نأخذ مثالاً حياً على خطورة وكلاء المحتل، فلدينا أفغانستان، فعلى الرغم من أن الإمارة الإسلامية (طالبان) والمجموعات المجاهدة المتعاونة معها، يذيقون الاحتلال الأمريكي المر والعذاب منذ سبعة عشر عاماً، إلا أن اعتماد الأمريكيين على الحكومة الأفغانية في إدارة البلاد ومواجهة المجاهدين، جعل كثيراً من عامة الشعب لا يشعر بأن جهاد الدفع ومقاومة المحتلين واجب عليه، بل يرى رئيس البلاد والحكومة أفغانية أفغاناً مثله، ويرى الجيش الأفغاني والشرطة الأفغانية والإعلام الأفغاني وكافة مؤسسات الدولة الأفغانية ترمي طالبان بالإرهاب وتحاربها. فمنهم من يقعد عن الجهاد، ومنهم من يشارك في الحرب على طالبان، ومنهم من يعتقد أنهم إرهابيون، على عكس الحالة الجهادية إبّان الاحتلال السوفيتي، فقد كان أغلب الشعب الأفغاني يجاهد السوفييت وكان لا صوت يعلو فوق صوت المقاومة، ومن يتعاون مع السوفييت كان عميلاً قولاً واحداً لا شك أو لبس فيه.



والأمر في أفغانستان أفضل كثيراً من وضع باقي الدول الإسلامية، فالخليج محتل بما تحمله الكلمة من معنى، والقواعد العسكرية الأمريكية في الخليج هي من بين الأكثر قوة وعتاداً وعدداً حول العالم، وملوك وأمراء الخليج ليس لهم قرار البتة ويأتمرون بأوامر سيدهم الأمريكي ولا يستطيعون مخالفته ولا يملكون ذلك أصلاً؛ بل تطور الوضع وأصبح الرئيس الأمريكي (السيد) يسخر من الملك السعودي (العبد) علناً، ويهاجمه الأيام تلو الأيام هجوماً مكثفاً بتصريحاته الإعلامية، دون أي رد من الجانب السعودي، رغم أن من أشهر هذه التصريحات قول البقرة البيضاء الأمريكية (ترامب) إن السعودية لا تستطيع البقاء أسبوعين لو تخلى عن دعمها الأمريكان. ومن كثرة الذلة والمهانة لم تجرؤ السعودية على الرد على هذه الإهانة.

وهكذا الأمر في باقي البلاد الإسلامية بل وغير الإسلامية من البلاد المحتلة بالوكالة، كالعديد من البلاد الأفريقية التي تحتلها فرنسا احتلالاً كاملاً لكن فقط دون وجود جنود فرنسيين على الأرض، بل وتضع فرنسا أيديها حتى الآن بشكل كامل على عدة جزر أفريقية، مثل جزيرة مايوت أو مايوطة التي ينتمي أغلب سكانها إلى الإسلام، ولكنها أرض فرنسية.

لذلك تعد الدندنة حول تبصير شعوب أمتنا بأننا "محتلون" مهمة للغاية، مع التأكيد على أنه ليس احتلالاً مجازاً بل هو احتلال حقيقي، وعلى هذا يجب أن يُربى الأطفال والشباب، ويعرف الكبار رجالاً ونساءً، ولا يقولن أحد هذا متعسر، فاليوم أصبح نشر المعلومات من أسهل ما يكون، وإن خفت على نفسك فبإمكانك أن تستخدم حساباً على مواقع التواصل الاجتماعي باسم مستعار، وفي بيوتنا نحدث أطفالنا ونربيهم على ذلك ونبسط لهم الأمر.

وهنا أقترح على من يجد في نفسه قدرة على ذلك أن ينشئ برامج تعليمية مناسبة لكل عمر لكن بطريقة جذابة وليس مجرد كتب، برامج تعليمية وتوعوية تحكي قصة الهجوم على الإسلام والمسلمين ومحاولات سرقة مقدراتهم والقضاء عليهم وعلى دينهم، وتربط الوكلاء بالمحتلين وتبرز دور المنافقين في تدمير الأمة، مع التركيز على التاريخ الصليبي واليهودي وخاصة الدور الأمريكي في تدمير الشعوب، وباستخدام الوسائل التي تسهل هذه القضية، من صور وأفلام وروايات ورسوم متحركة، وربما ألعاب تناسب فئة الأطفال، وحبذا لو كانت لعبة إلكترونية تصوّر دور العملاء مع المحتلين الحقيقيين، وهذا يؤثر بصورة كبيرة على الطفل.



إضافة إلى جانب التوعـية بأننا محتـلون، ينبغي أن يكون هـناك إعداد للكوادر في كافة النواحي تغنينا عن كوادر الوكلاء، وهذا ثغر قد هجره الكثيرون ولا يليق بمن يريد التغيير من أبناء هذه الأمة أن يهجره ويقول هذا شيء ربما نرى ثمرته بعد ثلاثين عاماً، وقد كانت الثورات العربية بعد اندلاعها في حالة فقد كبيرة للكثير من الكوادر في المجالات المختلفة، السياسية والعسكرية والاقتصادية والهندسية والتكنولوجية... إلخ، وكل من وُجدوا من كوادر هم ممن صُنعوا على أعين المحتلين ووكلائهم، وهذه نقطة ضعف كبيرة لابد من الانتباه لها وتساعد على تمكين وكلاء المحتلين أكثر بوصفهم الخبراء بكيفية إدارة دولاب الدولة، فإن كنت تريد ثورة ناجحة تتمكن من الحكم والإدارة فعليك البدء من الآن ضمن خطة تربوية تغرس في كل كادر أنه في جهاد ويقف على ثغر وربما تستفيد منه أمته يوماً ما.



أما والحال هكذا فحتى لو اندلعت ثورة على وكلاء المحتل فلن تكون أمتنا قادرة على الحكم والإدارة. وهذا من أفضل ما تنفق فيه أموال المسلمين، ومن الصدقة الجارية التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاَثَةِ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".

من ناحية أخرى، قد أثبتت الثورات العربية وتعثرها أهمية القوة في التغيير إذا وُضعت في مكانها الصحيح، فالقوة لا يُستغنى عنها في مقاومة وكلاء المحتلين، فلن يسمح لك الطواغيت بهامش حرية أو تمكين حتى تتبع ملتهم، ومن لا يعي هذا الدرس فهو على هامش الواقع ويهرب من مواجهة الحقائق. وأهمية مقاومة الوكلاء بالقوة أنها لو حدثت بضوابطها، تلتف حولها فئات من الشعب شيئاً فشيئاً حتى تتسع وتبتلع وكلاء المحتلين، لذلك من المهم للغاية التعليم العسكري والتدريب على السلاح وتكوين الخلايا متناهية الصغر التي تبدأ بأعمال لا خلاف حولها، مثل القصاص ممن ثبت عليه قتل المسلمين وتعذيبهم، وهذا يردع الطواغيت من ناحية، ويكسب الأفراد خبرة عملية من ناحية أخرى، تمهيداً للحظة الفارقة التي تتسع فيها الخلايا وتحظى بحاضنة شعبية كبيرة وتسحق الطغاة. وهذا في الحقيقة صعب للغاية ويحتاج عملاً طويلاً وشاقاً جداً.



فتحصيل الحاضنة العشبية يحتاج إلى عمل دعوي وعلمي وتربوي واسع جداً ومتراكم ونشيط، لأن التجارب المختلفة أثبتت أن إهمال الشعب يؤدي إلى عزل الحركة المقاومة عن الأمة وحصرها والانقضاض عليها.

فهي في الأصل معركة الأمة، ودورنا فقط كجزء من هذه الأمة هو المساعدة في تأهيلها وتنشيطها؛ لمواجهة هؤلاء المنافقين وكلاء المحتلين الجاثمين على صدورها، الذين يمنعونها أن تفيق من غفلتها وأن تستعيد ريادتها.

وللحديث بقية إن شاء الله.



العدد الثامن عشر ، يناير ٢٠١٩ | كلمة حق
www.klmtuhaq.blog

المشرف العام
محمد إلهامي

مـدير التحـريـر
حامد عبدالعظيم